سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٠٥٣)

# من ردود القرطبي

## قوله فيه رد على

## من خلال مصنفاته

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق


يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"ذكر الله تعالى، وقول من حرقها أولى بالصواب، وقد فعله عثمان. وقد قال القاضي أبو بكر لسان الأمة: جائز للإمام تحريق الصحف التي فيها القرآن، إذا أداه الاجتهاد الى ذلك.

فصل [في الرد على الحيلولة والحشوية القائلين بقدم الحروف والأصوات]

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وفي فعل عثمان رضي الله **عنه رد على الحيلولة** «١» والحشوية القائلين بقدم الحروف والأصوات، وأن القراءة والتلاوة القديمة، وان الايمان قديم، الروح قديم، وقد أجمعت الأمة وكل أمة من النصارى واليهود والبراهمة يل كل ملحد وموحد أن القديم لا يفعل ولا تتعلق به قدرة قادر بوجه ولا بسبب، ولا يجوز العدم على القديم وأن القديم لا يصير محدثا، والمحدث لا يصير قديما، وأن القديم ما لا أول لوجوده، وأن المحدث هو ما كان بعد أن لم يكن، وهذه الطائفة خرقت إجماع العقلاء من أهل الملل وغيرهم، فقالوا: يجوز أن يصير المحدث قديما، وأن العبد إذا قرأ كلام الله تعالى فعل كلاما لله قديما، وكذلك إذا نحت حروفا من الآجر والخشب، أو صاغ أحرفا من الذهب والفضة، أو نسج ثوبا فنقش عليه آية من كتاب الله فقد فعل هؤلاء كلام الله قديما، وصار كلامه منسوجا قديما ومنحوتا قديما ومصوغا قديما، فيقال لهم: ما تقولون في كلام الله تعالى، أيجوز أن يذاب ويمحى ويحرق؟ فإن قالوا: نعم، فارقوا الدين، وإن قالوا: لا، قيل لهم: فما قولكم في حروف مصورة آية من كتاب الله تعالى من شمع، أو ذهب أو فضة أو خشب أو كاغد فوقعت في النار فذابت واحترقت، فهل تقولون: إن كلام الله احترق؟ فإن قالوا: نعم، تركوا قولهم، وإن قالوا: لا، قيل لهم أليس قلتم، إن هذه الكتابة كلام الله وقد احترقت! وقلتم: إن هذه الأحرف كلامه وقد ذابت، فإن قالوا: احترقت الحروف وكلامه تعالى باق، رجعوا إلى الحق والصواب ودانوا بالجواب، وهو الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم، منبها على ما يقول أهل الحق: ولو كان القرآن في إهاب ثم وقع في النار ما احترق. وقال عز وجل:" أنزلت عليك كتابا لا يغسله تقرؤه نائما ويقظان" الحديث، أخرجه مسلم. فثبت بهذا

(١). الحلولية: فرقة من المتصوفة تقول: ان الله حال في كل شي وفي كل جزء منه متحد بن حتى جوزوا ان يطلق على كل شي انه الله. والحشوية: طائفة من المبتدعة تمسكوا بالظواهر وذهبوا الى التجسيم وغيره.." (١)

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥٥/١

"عليه وسلم:" أغلق بابك واذكر اسم الله وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله وخمر «١» إناءك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله". وقال:" لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا". وقال لعمر بن أبي سلمة:" يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك" وقال" إن الشيطان ليستحل الطعام إلا يذكر اسم الله عليه" وقال:" من لم يذبح فليذبح باسم الله". وشكا إليه عثمان بن أبي العاص وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر". هذا كله ثابت في الصحيح. وروى ابن ماجه والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول بسم الله". وروى الدارقطني عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مس طهوره سمى الله تعالى، ثم يفرغ الماء على يديه. التاسعة قال علماؤنا: **وفيها رد على القدرية** وغيرهم ممن يقول: إن أفعالهم مقدورة لهم. وموضع الاحتجاج عليهم من ذلك أن الله سبحانه أمرنا عند الابتداء بكل فعل أن نفتتح بذلك، كما ذكرنا. فمعنى" بسم الله"، أي بالله. ومعنى" بالله" أي بخلقه وتقديره يوصل إلى ما يوصل إليه. وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى. وقال بعضهم: معنى قوله" بسم الله" يعني بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته، وهذا تعليم من الله تعالى عباده، ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة الله جل وعز. العاشرة ذهب أبو عبيد معمر بن المثنى إلى أن" اسم" صلة زائدة واستشهد بقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

---

(١). التخمير: التغطية. والوكاء: الخيط الذي تشد به الصرة والكيس وغيرهما. أي شدوا رءوس الأسقية بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شي.." (١)

"" عليهمي" بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء بعد الميم، حكاها الحسن «١» البصري عن العرب. و" عليهم" بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء. و" عليهم" بكسر الهاء وضم الميم من غير إلحاق واو. و" عليهم" بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم. وكلها صواب، قاله ابن الأنباري. الموفية الثلاثين قرأ عمر بن الخطاب وابن الزبير رضي الله عنهما" صراط من أنعمت عليهم". واختلف الناس في المنعم عليهم، فقال الجمهور من المفسرين: إنه أراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وانتزعوا ذلك من قوله

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩٨/١

تعالى:" ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا «٢» " [النساء: ٦٩]. فالآية تقتضي أن هؤلاء على صراط مستقيم، وهو المطلوب في آية الحمد، وجميع ما قيل إلى هذا يرجع، فلا معنى لتعديد الأقوال والله المستعان. الحادية والثلاثون وفي هذه **الآية رد على القدرية** والمعتزلة والإمامية، لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية في صدور أفعاله منه، طاعة كانت أو معصية، لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله، فهو غير محتاج في صدورها عنه إلى ربه، وقد أكذبهم الله تعالى في هذه الآية إذ سألوه الهداية إلى الصراط المستقيم، فلو كان الأمر إليهم والاختيار بيدهم دون ربهم لما سألوه الهداية، ولا كرروا السؤال في كل صلاة، وكذلك تضرعهم إليه في دفع المكروه، وهو ما يناقض الهداية حيث قالوا:" صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" [الفاتحة: الآية]. فكما سألوه أن يهديهم سألوه ألا يضلهم، وكذلك يدعون فيقولون:" ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا «٣» " [آل عمران: ٨] الآية. الثانية والثلاثون غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٧) اختلف في" المغضوب عليهم" و" الضالين" من هم فالجمهور أن المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى، وجاء ذلك مفسرا عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم وقصة إسلامه، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، والترمذي في جامعه. وشهد لهذا التفسير

---

(١). في بعض نسخ الأصل: (الأخفش البصري) وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة. [ ..... ]

(٢). راجع ج ٥ ص ٢٧١.

(٣). راجع ج ٤ ص ١٩.." (١)

"ناس نسي قلب فصار نيس تحركت الياء فانفتح ما قبلها فانقلبت ألفا، ثم دخلت الألف واللام فقيل: الناس. قال ابن عباس: نسي آدم عهد الله فسمي إنسانا. وقال عليه السلام: (نسي آدم فنسيت ذريته). وفي التنزيل:" ولقد عهدنا إلى آدم «١» من قبل فنسي" [طه: ١١٥] وسيأتي. وعلى هذا فالهمزة زائدة، قال الشاعر:

لا تنسين تلك العهود فإنما ... سميت إنسانا لأنك ناسي

وقال آخر:

فإن نسيت عهودا منك سالفة ... فاغفر فأول ناس أول الناس

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤٩/١

وقيل: سمي إنسانا لأنسه بحواء. وقيل: لأنسه بربه، فالهمزة أصلية، قال الشاعر:

وما سمي الإنسان إلا لأنسه ... ولا القلب إلا أنه يتقلب

الثالثة لما ذكر الله جل وتعالى المؤمنين أولا، وبدأ بهم لشرفهم وفضلهم، ذكر الكافرين في مقابلتهم، إذ الكفر والإيمان طرفان. ثم ذكر المنافقين بعدهم وألحقهم بالكافرين قبلهم، لنفي الإيمان عنهم بقوله الحق:" وما هم بمؤمنين". ففي **هذا رد على الكرامية** حيث قالوا: إن الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بالقلب، واحتجوا بقوله تعالى:" فأثابهم الله «٢» بما قالوا" [المائدة: ٨٥]. ولم يقل: بما قالوا وأضمروا، وبقوله عليه السلام: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم (. وهذا منهم قصور وجمود، وترك نظر لما نطق به القرآن والسنة من العمل مع القول والاعتقاد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان). أخرجه ابن ماجه في سننه. فما ذهب إليه محمد بن كرام السجستاني وأصحابه هو النفاق وعين الشقاق، ونعوذ بالله من الخذلان وسوء الاعتقاد. الرابعة قال علماؤنا رحمة الله عليهم: المؤمن ضربان: مؤمن يحبه الله ويواليه، ومؤمن لا يحبه الله ولا يواليه، بل يبغضه ويعاديه، فكل من علم الله أنه يوافي بالإيمان، فالله محب له، موال له، راضي عنه. وكل من علم الله أنه يوافي بالكفر، فالله مبغض له، ساخط

---

(١). راجع ج ١١ ص ٢٥١.

(٢). راجع ج ٦ ص ٢٦٠." (١)

"قوله تعالى: (وبشر الذين آمنوا) فيه ثلاث مسائل: الأولى- لما ذكر الله عز وجل جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين أيضا. والتبشير الإخبار بما يظهر أثره على البشرة- وهي ظاهر الجلد- لتغيرها بأول خبر يرد عليك، ثم الغالب أن يستعمل في السرور مقيدا بالخير المبشر به، وغير مقيد أيضا. ولا يستعمل في الغم والشر إلا مقيدا منصوصا على الشر المبشر به، قال الله تعالى" فبشرهم بعذاب أليم" [الانشقاق: ٢٤]. ويقال: بشرته وبشرته- مخفف ومشدد- بشارة (بكسر الباء) فأبشر واستبشر. وبشر يبشر إذا فرح. ووجه بشير إذا كان حسنا بين البشارة (بفتح الباء). والبشرى: ما يعطاه المبشر. وتباشير الشيء: أوله. الثانية- أجمع العلماء على أن المكلف إذا قال: من بشرني من عبيدي بكذا فهو حر، فبشره واحد من عبيده فأكثر فإن أولهم يكون حرا دون الثاني. واختلفوا إذا قال: من أخبرني من عبيدي بكذا فهو حر فهل يكون الثاني

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/١٩٣

مثل ا لأول، فقال أصحاب الشافعي: نعم، لأن كل واحد منهم مخبر. وقال علماؤنا: لا، لأن المكلف إنما قصد خبرا يكون بشارة، وذلك يختص بالأول، وهذا معلوم عرفا فوجب صرف القول إليه. وفرق محمد ابن الحسن بين قوله: أخبرني، أو حدثني، فقال: إذا قال الرجل أي غلام لي أخبرني بكذا، أو أعلمني بكذا وكذا فهو حر- ولا نية له- فأخبره غلام له بذلك بكتاب أو كلام أو رسول فإن الغلام يعتق، لأن هذا خبر. وإن أخبره بعد ذلك غلام له عتق، لأنه قال: أي غلام أخبرني فهو حر. ولو أخبروه كلهم عتقوا، وإن كان عنى- حين حلف- بالخبر كلام مشافهة لم يعتق واحد منهم إلا أن يخبره بكلام مشافهة بذلك الخبر. قال: وإذا قال أي غلام لي حدثني، فهذا على المشافهة، لا يعتق واحد منهم. الثالثة- قوله تعالى: (وعملوا الصالحات) رد على من يقول: إن الإيمان بمجرده يقتضي الطاعات، لأنه لو كان ذلك ما أعادها، فالجنة تنال بالإيمان والعمل الصالح. وقيل: الجنة تنال بالإيمان، والدرجات تستحق بالأعمال الصالحات. والله أعلم.." (١)

"والحق خلاف الباطل. والحق: واحد الحقوق. والحقة (بفتح الحاء) أخص منه، يقال: هذه حقتي، أي حقي. قوله تعالى: (وأما الذين كفروا) لغة بني تميم وبني عامر في" أما" أيما، يبدلون من إحدى الميمين ياء كراهية التضعيف، وعلى هذا ينشد بيت عمر بن أبي ربيعة: رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت فيضحى وأيما بالعشي فيخصر «١» قوله تعالى: (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) اختلف النحويون في" ماذا"، فقيل: هي بمنزلة اسم واحد بمعنى أي شي أراد الله، فيكون في موضع نصب ب"- أراد". قال ابن كيسان: وهو الجيد. وقيل:" ما" اسم تام في موضع رفع بالابتداء، و" ذا" بمعنى الذي وهو خبر الابتداء، ويكون التقدير: ما الذي أراده الله بهذا مثلا، ومعنى كلامهم هذا: الإنكار بلفظ الاستفهام. و" مثلا" منصوب على القطع، التقدير: أراد مثلا، قاله ثعلب. وقال ابن كيسان: هو منصوب على التمييز الذي وقع موقع الحال. قوله تعالى: (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) قيل: هو من قول الكافرين، أي ما مراد الله بهذا المثل الذي يفرق به الناس إلى ضلالة وإلى هدى. وقيل: بل هو خبر من الله عز وجل، وهو أشبه، لأنهم يقرون بالهدى أنه من عنده، فالمعنى: قل يضل الله به كثيرا ويهدي به كثيرا، أي يوفق ويخذل، وعليه فيكون فيه رد على من تقدم ذكرهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم: إن الله لا يخلق الضلال ولا الهدى. قالوا: ومعنى" يضل به كثيرا" التسمية هنا، أي يسميه ضالا، كما يقال: فسقت فلانا، يعني سميته فاسقا، لأن الله تعالى لا يضل أحدا. هذا طريقهم في الإضلال، وهو خلاف أقاويل المفسرين، وهو غير محتمل في اللغة، لأنه يقال:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/٢٣٨

ضلله إذا سماه ضالا، ولا يقال: أضله إذا سماه ضالا، ولكن معناه ما ذكره المفسرون أهل التأويل من الحق أنه يخذل به كثيرا من الناس مجازاة لكفرهم. ولا خلاف أن قوله:

---

(١). الخصر (بالتحريك): البرد. [ ..... ]." (١)

"قوله تعالى: (بغير الحق) تعظيم للشنعة والذنب الذي أتوه. فإن قيل: هذا دليل على أنه قد يصح أن يقتلوا بالحق، ومعلوم أن الأنبياء معصومون من أن يصدر منهم ما يقتلون به. قيل له: ليس كذلك، وإنما خرج هذا مخرج الصفة لقتلهم أنه ظلم وليس بحق، فكان هذا تعظيما للشنعة عليهم، ومعلوم أنه لا يقتل نبي بحق، ولكن يقتل على الحق، فصرح قوله:" بغير الحق" عن شنعة الذنب ووضوحه، ولم يأت نبي قط بشيء يوجب قتله. فإن قيل: كيف جاز أن يخلي بين الكافرين وقتل الأنبياء؟ قيل: ذلك كرامة لهم وزيادة في منازلهم، كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين، وليس ذلك بخذلان لهم. قال ابن عباس والحسن: لم يقتل نبي قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نصر. قوله تعالى: (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) " ذلك" **رد على الأول** وتأكيد للإشارة إليه. والباء في" بما" باء السبب. قال الأخفش: أي بعصيانهم. والعصيان: خلاف الطاعة. واعتصت النواة إذا اشتدت. والاعتداء: تجاوز الحد في كل شي، وعرف في الظلم والمعاصي.

[سورة البقرة (٢): الآيات ٦٢ الى ٦٥]

إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (٦٣) ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين (٦٤) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (٦٥)

فيه ثماني مسائل: الأولى قوله تعالى: (إن الذين آمنوا) أي صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. وقال سفيان: المراد المنافقون. كأنه قال: الذين آمنوا في ظاهر أمرهم، فلذلك قرنهم باليهود والنصارى والصابئين، ثم بين حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم. الثانية- قوله تعالى: (والذين هادوا) معناه صاروا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٤٤/١

يهودا، نسبوا إلى يهوذا وهو أكبر ولد يعقوب عليه السلام، فقلبت العرب الذال دالا، لأن الأعجمية إذا عربت غيرت." (١)

"[سورة الحجر (١٥): آية ١١]

وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن (١١)

تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، أي كما فعل بك هؤلاء المشركون فكذلك فعل بمن قبلك من الرسل.

[سورة الحجر (١٥): الآيات ١٢ الى ١٣]

كذلك نسلكه في قلوب المجرمين (١٢) لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين (١٣)

قوله تعالى:"كذلك نسلكه" أي الضلال والكفر والاستهزاء والشرك." في قلوب المجرمين" من قومك، عن الحسن وقتادة وغيرهما. أي كما سلكناه في قلوب من تقدم من شيع الأولين كذلك نسلكه في قلوب مشركي قومك حتى لا يؤمنوا بك، كما لم يؤمن من قبلهم برسلهم. وروى ابن جريج عن مجاهد قال: نسلك التكذيب. والسلك: إدخال الشيء في الشيء كإدخال الخيط في المخيط. يقال: سلكه يسلكه سلكا وسلوكا، أسلكه إسلاكا. وسلك الطريق سلوكا وسلكا وأسلكه دخله، والشيء في غيره مثله، والشيء كذلك والرمح، والخيط في الجوهر، كله فعل وأفعل. وقال عدي بن زيد:

وقد سلكوك في يوم عصيب «١»

والسلك (بالكسر) الخيط. وفي **الآية رد على القدرية** والمعتزلة. وقيل: المعنى نسلك القرآن في قلوبهم فيكذبون به. وقال «٢» الحسن ومجاهد وقتادة القول الذي عليه أكثر أهل التفسير، وهو ألزم حجة على المعتزلة. وعن الحسن أيضا: نسلك الذكر إلزاما للحجة، ذكره الغزنوي. (وقد خلت سنة الأولين) أي مضت سنة الله بإهلاك الكفار، فما أقرب هؤلاء من الهلاك. وقيل:" خلت سنة الأولين" بمثل ما فعل هؤلاء من التكذيب والكفر، فهم يقتدون بأولئك.

---

(١). هذا عجز البيت، كما في السان وشعراء النصرانية:

وكنت خصمك لم أعرد

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤٣٢/١

(٢). في الأصول:" وقرا".." (١)

"قوله تعالى: (إلهكم إله واحد) لما بين استحالة الإشراك بالله تعالى بين أن المعبود واحد لا رب غيره ولا معبود سواه. (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة أي لا تقبل الوعظ ولا ينجع فيها الذكر، **وهذا رد على القدرية**. (وهم مستكبرون) أي متكبرون متعظمون عن قبول الحق. وقد تقدم في" البقرة «١» " معنى الاستكبار. (لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي من القول والعمل فيجازيهم. قال الخليل:" لا جرم" كلمة تحقيق ولا تكون إلا جوابا، يقال: فعلوا ذلك، فيقال: لا جرم سيندمون. أي حقا أن لهم النار وقد مضى القول في هذا في هود" «٢» " مستوفى. (إنه لا يحب المستكبرين) أي لا يثيبهم ولا يثني عليهم. وعن الحسين بن علي أنه مر بمساكين قد قدموا كسرا بينهم «٣» وهم يأكلون فقالوا: الغذاء يا أبا عبد الله، فنزل وجلس معهم وقال: (إنه لا يحب المستكبرين) فلما فرغ قال: قد أجبتكم فأجيبوني، فقاموا معه إلى منزله فأطعمهم وسقاهم وأعطاهم وانصرفوا. قال العلماء: وكل ذنب يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبر، فإنه فسق يلزمه الإعلان، وهو أصل العصيان كله. وفي الحديث الصحيح" إن المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة يطؤهم الناس بأقدامهم لتكبرهم". أو كما قال صلى الله عليه وسلم:" تصغر لهم أجسامهم في المحشر حتى يضرهم صغرها وتعظم لهم في النار حتى يضرهم عظمها".

[سورة النحل (١٦): آية ٢٤]

وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين (٢٤)

قوله تعالى: (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) يعني وإذا قيل لمن تقدم ذكره ممن لا يؤمن بالآخرة وقلوبهم منكرة بالبعث" ماذا أنزل ربكم". قيل: القائل النضر بن الحارث، وأن الآية نزلت فيه، وكان خرج إلى الحيرة فاشترى أحاديث (كليلة ودمنة) فكان يقرأ على قريش ويقول: ما يقرأ محمد على أصحابه إلا أساطير الأولين، أي ليس هو من تنزيل

---

(١). راجع ج ١ ص ٢٩٦.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠/٧

(٢). راجع ج ٩ ص ٢٠.

(٣). في ج وى: لهم.." (١)

"بشرف المنزلة، فميزهم من صفة الدبيب بالذكر وإن دخلوا فيها، كقوله:" فيهما فاكهة ونخل ورمان «١» ". وقيل: لخروجهم من جملة ما يدب لما جعل الله لهم من الأجنحة، فلم يدخلوا في الجملة فلذلك ذكروا. وقيل: أراد" ولله يسجد من في السماوات" من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب،" وما في الأرض من دابة" وتسجد ملائكة الأرض. (وهم لا يستكبرون) عن عبادة ربهم. **وهذا رد على قريش** حيث زعموا أن الملائكة بنات الله. ومعنى (يخافون ربهم من فوقهم) أي عقاب ربهم وعذابه، لأن العذاب المهلك إنما ينزل من السماء. وقيل: المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم، ففي الكلام حذف. وقيل: معنى" يخافون ربهم من فوقهم" يعني الملائكة، يخافون ربهم وهي من فوق ما في الأرض من دابة ومع ذلك يخافون، فلأن يخاف من دونهم أولى، دليل هذا القول قوله تعالى: (ويفعلون ما يؤمرون) يعنى الملائكة.

[سورة النحل (١٦): آية ٥١]

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥١)

قوله تعالى: (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين) قيل: المعنى لا تتخذوا اثنين إلهين. وقيل: جاء قوله: «اثنين» توكيدا. ولما كان الإله الحق لا يتعدد وأن كل من يتعدد فليس بإله، اقتصر على ذكر الاثنين، لأنه قصد نفي التعدد. (إنما هو إله واحد) يعني ذاته المقدسة. وقد قام الدليل العقلي والشرعي على وحدانيته حسبما تقدم في البقرة بيانه «٢» وذكرناه في اسمه الواحد في شرح الأسماء، والحمد لله. (فإياي فارهبون) أي خافون. وقد تقدم في البقرة «٣».

[سورة النحل (١٦): آية ٥٢]

وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون (٥٢)

---

(١). راجع ج ١٧ ص ١٨٥.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩٥/١٠

(٢). راجع ج ٢ ص ١٩٠ وما بعدها.

(٣). راجع ج ١ ص ٣٣٢.." [١]

"للأوثان، وجرى بالواو والنون مجرى من يعقل، فهو رد على" ما" ومفعول يعلم محذوف والتقدير: ويجعل هؤلاء الكفار للأصنام التي تعلم شيئا نصيبا. وقد مضى في" الأنعام" تفسير هذا المعنى في قوله:" فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا «١» " ثم رجع من الخبر إلى الخطاب فقال: (تالله لتسئلن) وهذا سؤال توبيخ. (عما كنتم تفترون) أي تختلقونه من الكذب على الله أنه أمركم بهذا.

[سورة النحل (١٦): آية ٥٧]

ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون (٥٧)

قوله تعالى: (ويجعلون لله البنات) نزلت في خزاعة وكنانة، فإنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، فكانوا يقولون ألحقوا البنات بالبنات. (سبحانه) نزه نفسه وعظمها عما نسبوه إليه من اتخاذ الأولاد. (ولهم ما يشتهون) أي يجعلون لأنفسهم البنين ويأنفون من البنات. وموضع" ما" رفع بالابتداء، والخبر" لهم" وتم الكلام عند قوله:" سبحانه". وأجاز الفراء كونها نصبا، على تقدير: ويجعلون لهم ما يشتهون. وأنكره الزجاج وقال: العرب تستعمل في مثل هذا ويجعلون لأنفسهم.

[سورة النحل (١٦): آية ٥٨]

وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم (٥٨)

قوله تعالى: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى) أي أخبر أحدهم بولادة بنت. (ظل وجهه مسودا) أي متغيرا، وليس يريد السواد الذي هو ضد البياض، وإنما هو كناية عن غمه بالبنت. والعرب تقول لكل من لقي مكروها: قد اسود وجهه غما وحزنا قال الزجاج. وحكى الماوردي أن المراد سواد اللون قال: وهو قول الجمهور. (وهو كظيم) أي ممتلئ من الغم. وقال ابن عباس: حزين. وقال الأخفش: هو الذي يكظم غيظه فلا يظهره. وقيل: إنه المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الغم، مأخوذ من الكظامة وهو شد فم القربة، قال علي بن عيسى. وقد تقدم هذا المعنى في سورة" يوسف «٢» ".

---

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١٣/١٠

(١). راجع ج ٧ ص ٨٩.

(٢). راجع ج ٩ ص ٢٤٩.." [1]

"من عبيدي. ونظيرها" ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء «١» " على ما يأتي. ودل هذا على أن العبد لا يملك، على ما يأتي أنفا «٢».

[سورة النحل (١٦): آية ٧٢]

والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون (٧٢)

قوله تعالى: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) جعل بمعنى خلق وقد تقدم." من أنفسكم أزواجا" يعني آدم خلق منه حواء. وقيل: المعنى جعل لكم من أنفسكم، أي من جنسكم ونوعكم وعلى خلقتكم، كما قال:" لقد جاءكم رسول من أنفسكم «٣» " أي من الآدميين. وفي **هذا رد على العرب** التي كانت تعتقد أنها كانت تزوج الجن وتباضعها، حتى روي أن عمرو بن هند «٤» تزوج منهم غولا وكان يخبؤها عن البرق لئلا تراه فتنفر، فلما كان في بعض الليالي لمع البرق وعاينته السعلاة «٥» فقالت: عمرو! ونفرت، فلم يرها أبدا. وهذا من أكاذيبها، وإن كان جائزا في حكم الله وحكمته **فهو رد على الفلاسفة** الذين ينكرون وجود الجان ويحيلون طعامهم. (أزواجا) زوج الرجل هي ثانيته، فإنه فرد فإذا انضافت إليه كانا زوجين، وإنما جعلت الإضافة إليه دونها لأنه أصلها في الوجود كما تقدم.

---

(١). راجع ج ١٤ ص ٢٢.

(٢). يريد بعد قليل." آنفا" إنما تستعمل في الماضي القريب لا في المستقبل القريب.

(٣). راجع ج ٨ ص ٣٠١.

(٤). كذا في نسخ الأصول وأحكام القرآن لابن العربي، والصواب أنه عمرو بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن مناة، قال علباء بن أرقم:

يا قبحا لله بنى السعلاة ... عمرو بن يربوع شرار النات

---

[1] تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١٦/١٠

راجع شرح التنوير على سقط الزند في شرح بيت أبى العلاء المعرى:

إذا لاح إيماض شرت وجوهها ... كأني عمرو والمطي سعالي

(٥). السغلاة: أخبت الغيلان.." [١]

"بالتشديد على التكثير حيث وقع. وقرأ الحسن بالتخفيف. وقوله:" في هذا القرآن" يعني الأمثال والعبر والحكم والمواعظ والأحكام والاعلام قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحسين يقول بحضرة الإمام الشيخ أبي الطيب: لقوله تعالى:" صرفنا" معنيان، أحدهما لم يجعله نوعا واحدا بل وعدا ووعيدا ومحكما ومتشابها ونهيا وأمرا وناسخا ومنسوخا وأخبارا وأمثالا، مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال، وصريف الأفعال من الماضي والمستقبل والأمر والنهي والفعل والفاعل والمفعول ونحوها. والثاني أنه لم ينزل مرة واحدة بل نجوما، نحو قوله" وقرآنا فرقناه «١» " ومعناه: أكثرنا صرف جبريل عليه السلام إليك. (ليذكروا) قراءة يحيى والأعمش وحمزة والكسائي" ليذكروا" مخففا، وكذلك في الفرقان" ولقد صرفناه بينهم ليذكروا «٢» ". الباقون بالتشديد. واختاره أبو عبيد، لأن معناه ليتذكروا وليتعظوا. قال المهدوي: من شدد" ليذكروا" أراد التدبر. وكذلك من قرأ" ليذكروا". ونظير الأول" ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون «٣» " والثاني-" واذكروا ما فيه «٤» " (وما يزيدهم) أي التصريف والتذكير. (إلا نفورا) أي تباعدا عن الحق وغفلة عن النظر والاعتبار، وذلك لأنهم اعتقدوا في القرآن أنه حيلة وسحر وكهانة وشعر.

[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٤٢ الى ٤٣]

قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا (٤٢) سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (٤٣)

قوله تعالى: (قل لو كان معه آلهة) هذا متصل بقوله تعالى:" ولا تجعل مع الله إلها آخر" **وهو رد على عباد** الأصنام. (كما يقولون) قرأ ابن كثير وحفص" يقولون" بالياء. الباقون" تقولون" بالتاء على الخطاب. (إذا لابتغوا) يعني الآلهة. (إلى ذي العرش سبيلا) قال ابن العباس رضي الله تعالى عنهما: لطلبوا مع الله منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض. وقال سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه: المعنى إذا لطلبوا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤٢/١٠

(١). راجع ص ١٣٩ من هذا الجزء.

(٢). راجع ج ١٣ ص ٥٧ وص ٢٩٤ فما بعد.

(٣). راجع ج ١٣ ص ٥٧ وص ٢٩٤ فما بعد.

(٤). راجع ج ١ ص ٤٣٦.." (١)

"والبنين، لأن المعنى: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقر فلا تتبعوها نفوسكم. **وهو رد على عيينة** بن حصن وأمثاله لما افتخروا بالغنى والشرف، فأخبر تعالى أن ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى، كالهشيم حين ذرته الريح، إنما يبقى ما كان من زاد القبر وعدد الآخرة. وكان يقال: لا تعقد قلبك مع المال لأنه في ذاهب، ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغدا مع غيرك، ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغدا لغيرك. ويكفى قي هذا قول الله تعالى:" أنما أموالكم وأولادكم فتنة

«١» وقال تعالى:" إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم «٢» ". قوله تعالى: (والباقيات الصالحات) أي ما يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين من الطاعات. (خير عند ربك ثوابا) أي أفضل. (وخير أملا) أي أفضل من ذي المال والبنين دون عمل صالح، وليس في زينة الدنيا خير، ولكنه خرج مخرج قوله:" أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا «٣» ". وقيل: خير في التحقيق مما يظنه الجهال أنه خير في ظنهم. واختلف العلماء في" الباقيات الصالحات"، فقال ابن عباس وابن جبير وأبو ميسرة وعمرو ابن شرحبيل: هي الصلوات الخمس. وعن ابن عباس أيضا: إنها كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة. وقاله ابن زيد ورجحه الطبري. وهو الصحيح إن شاء الله، لأن كل ما بقي ثوابه جاز أن يقال له هذا. وقال لي رضي الله عنه: الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعهن الله تعالى لأقوام. وقال الجمهور: هي الكلمات المأثور فضلها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. خرجه مالك في موطئه عن عمارة بن صياد عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في الباقيات الصالحات: إنها قول العبد الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. أسنده النسائي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله

(١). راجع ج ١٨ ص ١٤٠.

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠/٢٦٥

(٢). راجع ج ١٨ ص ١٤٠.

(٣). راجع ج ١٣ ص ٢١ فما بعد.." [١]

"الجزء الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[تتمة تفسير سورة الكهف]

[سورة الكهف (١٨): الآيات ٥١ الى ٥٣]

ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا (٥١) ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا (٥٢) ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا (٥٣)

قوله تعالى: (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم) قيل: الضمير عائد على إبليس وذريته، أي لم أشاورهم في خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، بل خلقتهم على ما أردت. وقيل: ما أشهدت إبليس وذريته خلق السموات والأرض" ولا خلق أنفسهم" أي أنفس المشركين فكيف اتخذوهم أولياء من دوني؟. وقيل: الكناية في قوله:" ما أشهدتهم" ترجع إلى المشركين، وإلى الناس بالجملة، فتضمن الآية الرد على طوائف من المنجمين وأهل الطبائع والمتحكمين من الأطباء وسواهم من كل من يتخوض «١» في هذه الأشياء. وقال ابن عطية: وسمعت أبي رضي الله عنه يقول سمعت الفقيه أبا عبد الله محمد «٢» بن معاذ المهدوي بالمهدية يقول: سمعت عبد الحق الصقلي يقول هذا القول، ويتأول هذا التأويل في هذه الآية، وأنها رادة على هذه الطوائف. وذكر هذا بعض الأصوليين. قال ابن عطية وأقول: إن الغرض المقصود أولا بالآية هم إبليس وذريته، وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة، وعلى الكهان والعرب والمعظمين للجن، حين يقولون: أعوذ بعزيز هذا الوادي، إذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بإبليس وذريته وهم أضلوا الجميع، فهم المراد الأول بالمضلين، وتندرج هذه الطوائف في معناهم. قال الثعلبي: وقال بعض أهل العلم" ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض" **رد على المنجمين** أن قالوا: إن الأفلاك تحدث في الأرض وفي بعضها في بعض، وقوله:" والأرض" **رد على أصحاب** الهندسة حيث قالوا:

---

[١] تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠/٤١٤

(١). من ج وفـي ا: ينخرط وفي ك وى والبحر: يتخرص. [ ..... ]

(٢). في ك: أبا عبد الله بن عبد الله.." (١)

"إن الأرض كرية والأفلاك تجري تحتها، والناس ملصقون عليها وتحتها، وقوله:" ولا خلق أنفسهم" **رد على الطبائعيين** حيث زعموا أن الطبائع هي الفاعلة في النفوس. وقرأ أبو جعفر:" ما أشهدناهم" بالنون والألف على التعظيم. الباقون بالتاء بدليل قوله: (وما كنت متخذ) يعني ما استعنتهم على خلق السموات والأرض ولا شاورتهم. (وما كنت متخذ المضلين) يعني الشياطين. وقيل: الكفار. (عضدا) أي أعوانا يقال: اعتضدت بفلان إذا استعنت به وتقويت. والأصل فيه عضد اليد، ثم يوضع موضع العون، لأن اليد قوامها العضد. يقال: عضده وعاضده على كذا إذا أعانه وأعزه. ومنه قوله تعالى:" سنشد عضدك بأخيك" «١» [القصص: ٣٥] أي سنعينك بأخيك. ولفظ العضد على جهة المثل، والله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى عون أحد. وخص المضلين بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ. وقرأ أبو جعفر الجحدري:" وما كنت" بفتح التاء أي وما كنت يا محمد متخذ المضليـن عضدا. وفي عضد ثمانية أوجه:" عضدا" بفتح العين وضم الضاد وهي قراءة الجمهور، وهي أفصحها. و" عضدا" بفتح العين وإسكان الضاد، وهي لغة بني تميم. و" عضدا" بضم العين والضاد، وهي قراءة أبي عمرو والحسن. و" عضدا" بضم العين وإسكان الضاد، وهي قراءة عكرمة. و" عضدا" بكسر العين وفتح الضاد، وهي قراءة الضحاك. و" عضدا" بفتح العين والضاد وهي قراءة عيسى بن عمر. وحكى هارون القارئ" عضدا" واللغة الثامنة" عضدا" على لغة من قال: كتف وفخذ. قوله تعالى: (ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم) أي اذكروا يوم يقول الله: أين شركائي؟ أي ادعوا الذين أشركتموهم بي فليمنعوكم من عذابي. وإنما يقول ذلك لعبدة الأوثان. وقرأ حمزة ويحيى وعيسى بن عمر" نقول" بنون. الباقون بالياء، لقوله:" شركائي" ولم يقل: شركاءنا. (فدعوهم) أي فعلوا ذلك. (فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم إلى نصرهم ولم يكفوا عنهم شيئا. (وجعلنا بينهم موبقا) قال أنس ابن مالك: هو واد في جهنم من قيح ودم. وقال ابن عباس: أي وجعلنا بين المؤمنين والكافرين حاجزا. وقيل: بين الأوثان وعبدتها، نحو قوله:" فزيلنا بينهم ١٠: ٢٨" «٢». (هامش)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١/١

(١). راجع ج ١ ص ٢٨٤.

(٢). راجع ج ٨ ص ٣٣٣.." [(١)]

"فقال فتاه: لا أوقظه، حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره، وتضرب الحوت حتى دخل البحر، فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره في حجر، قال لي عمرو «١»: هكذا كأن أثره في حجر وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما (. وفي رواية. وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار [عليه «٢»] مثل الطاق «٣»، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه:" آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا" ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه:" أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره" (. وقيل: إن النسيان كان منهما لقوله تعالى:" نسيا" فنسب النسيان إليهما، وذلك أن بدو حمل الحوت كان من موسى لأنه الذي أمر به، فلما مضيا كان فتاه هو الحامل له حتى أويا إلى الصخرة نزلا (فلما جاوزا) يعني الحوت هناك منسيا- أي متروكا- فلما سأل موسى الغداء نسب الفتى النسيان إلى نفسه عند المخاطبة، وإنما ذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصخرة، فقد كان موسى شريكا في النسيان لأن النسيان التأخير، من ذلك قولهم في الدعاء: أنسأ الله في أجلك. فلما مضيا من الصخرة أخرا حوتهما عن حمله فلم يحمله واحد منهما فجاز أن ينسب إليهما لأنهما مضيا وتركا الحوت. قوله تعالى: (آتنا غداءنا) فيه مسألة واحدة، وهو اتخاذ الزاد في الأسفار، **وهو رد على الصوفية** الجهلة الأغمار «٤»، الذين يقتحمون المهامة والقفار، زعما منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد. وفي صحيح البخاري: إن ناسا من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس، فأنزل الله تعالى" وتزودوا" وقد مضى هذا في" البقرة" «٥». واختلف في زاد موسى ما كان، فقال ابن عباس: كان حوتا مملوحا في زنبيل، وكانا يصيبان منه غداء وعشاء، فلما انتهيا إلى

---

(١). أي قال ابن جريج قال لي عمرو ... إلخ.

(٢). من ج وك وى.

(٣). الطاق: عقد البناء.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١/٢

(٤). الأغمار جمع غمر (بالضم): وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور.

(٥). راجع ج ٢ ص ٤١١ فما بعد.." (١)

"قوله تعالى: (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) أي عبثا وباطلا، بل للتنبيه على أن لها خالقا قادرا يجب امتثال أمره، وأنه يجازي المسيء والمحسن أي ما خلقنا السماء والأرض ليظلم بعض الناس بعضا ويكفر بعضهم، ويخالف بعضهم ما أمر به ثم يموتوا ولا يجازوا، ولا يؤمروا في الدنيا بحسن ولا ينهوا عن قبيح. وهذا اللعب المنفي عن الحكيم ضده الحكمة. قوله تعالى: (لو أردنا أن نتخذ لهوا) لما اعتقد قوم أن له ولدا قال:" لو أردنا أن نتخذ لهوا" واللهو المرأة بلغة اليمن، قاله قتادة. وقال عقبة بن أبي جسرة- وجاء طاوس وعطاء ومجاهد يسألونه عن قوله تعالى:" لو أردنا أن نتخذ لهوا"- فقال: اللهو الزوجة، وقاله الحسن. وقال ابن عباس: اللهو الولد، وقاله الحسن أيضا. قال الجوهري: وقد يكنى باللهو عن الجماع. قلت: ومنه قول امرئ القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني ... كبرت وألا يحسن اللهو أمثالي

وإنما سمي الجماع لهوا لأنه ملهى للقلب، كما قال: «١»

وفيهن ملهى للصديق ومنظر

الجوهري- وقوله تعالى:" لو أردنا أن نتخذ لهوا" قالوا امرأة ويقال: ولدا. (لاتخذناه من لدنا) أي من عندنا لا من عندكم. قال ابن جريج: من أهل السماء لا من أهل الأرض. قيل: أراد الرد على من قال إن الأصنام بنات الله، أي كيف يكون منحوتكم ولدا لنا. وقال ابن قتيبة: **الآية رد على النصارى**. (إن كنا فاعلين) قال قتادة ومقاتل وابن. جريج والحسن: المعنى ما كنا فاعلين، مثل" إن أنت إلا نذير" «٢» [فاطر: ٢٣] أي ما أنت إلا نذير. و" أن" بمعنى الجحد وتم الكلام عند قوله:" لاتخذناه من لدنا". وقيل: إنه على معنى الشرط، أي إن كنا فاعلين ذلك ولكن لسنا بفاعلين ذلك لاستحالة أن يكون لنا ولد، إذ لو كان ذلك لم نخلق جنة

---

(١). هو زهير بن أبي سلمى والبيت من معلقته وتمامه:

أنيق لعين الناظر المتوسم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١١

(٢). راجع ج ١٤ ص ...." (١)

"قلت: ولأجل هذا قال العلماء: إن الآية أصل في أن درجة الإيمان التي حازها الإنسان، ومنزلة الصلاح التي حلها المؤمن «١»، ولبسة العفاف التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع، إذا كان أصله فاسدا أو مجهولا.

التاسعة- قوله تعالى: (لولا جاؤ عليه بأربعة شهداء) هذا توبيخ لأهل الإفك. و" لولا" بمعنى هلا، أي هلا جاءوا بأربعة شهداء على ما زعموا من الافتراء. **وهذا رد على الحكم** الأول، وإحالة على الآية السابقة في آية القذف. العاشرة- قوله تعالى: (فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) أي هم في حكم الله كاذبون. وقد يعجز الرجل عن إقامة البينة وهو صادق في قذفه، ولكنه في حكم الشرع وظاهر الأمر كاذب لا في علم الله تعالى، وهو سبحانه إنما رتب الحدود على حكمه الذي شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالإنسان على ما هو عليه، فإنما يبنى على ذلك حكم الآخرة. قلت: ومما يقوي هذا المعنى ويعضده ما خرجه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس إن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه، وليس لنا من سريرته شي الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نؤمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة. وأجمع العلماء أن أحكام الدنيا على الظاهر، وأن السرائر إلى الله عز وجل. الحادية عشرة- قوله تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) «٢» " فضل" رفع بالابتداء عند سيبويه، والخبر محذوف لا تظهره العرب. وحذف جواب" لولا" لأنه قد ذكر مثله بعد، قال الله عز وجل" ولولا فضل الله عليكم ورحمته"" لمسكم" أي بسبب ما قلتم في عائشة عذاب عظيم في الدنيا والآخرة. وهذا عتاب من الله تعالى بليغ، ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا ويرحم في الآخرة من أتاه تائبا والإفاضة: الأخذ في الحديث، وهو الذي وقع عليه العتاب، يقال: أفاض القوم في الحديث أي أخذوا فيه.

---

(١). في ك: المر .. [ ..... ]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٧٦/١١

(٢). يريد آية ١٠ وهى قوله تعالى:" وهي قوله تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم"..." (١)

"من صدقة أو غيرها فهو لسيده، يطيب له أخذ ذلك كله. هذا قول الشافعي وأبي حنيفة وأصحابهما وأحمد بن حنبل، ورواية عن شريح. وقال الثوري: يجعل السيد ما أعطاه في الرقاب، وهو قول مسروق والنخعي، ورواية عن شريح. وقالت طائفة: ما قبض منه السيد فهو له، وما فضل بيده بعد العجز فهو له دون سيده، وهذا قول بعض من ذهب إلى أن العبد يملك. وقال إسحاق: ما أعطي بحال **الكتابة رد على أربابه**. العاشرة- حديث بريرة على اختلاف طرقه وألفاظه يتضمن أن بريرة وقع فيها بيع بعد كتابة تقدمت. واختلف الناس في بيع المكاتب بسبب ذلك. وقد ترجم البخاري (باب بيع المكاتب إذا رضي). وإلى جواز بيعه للعتق إذا رضي المكاتب بالبيع ولو لم يكن عاجزا- ذهب ابن المنذر والداودي، وهو الذي ارتضاه أبو عمر بن عبد البر، وبه قال ابن شهاب «١» وأبو الزناد وربيعة غير أنهم قالوا: لأن رضاه بالبيع عجز منه. وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما: لا يجوز بيع المكاتب ما دام مكاتبا حتى يعجز، ولا يجوز بيع كتابته بحال، وهو قول الشافعي بمصر، وكان بالعراق يقول: بيعه جائز، وأما بيع كتابته فغير جائزة. وأجاز مالك بيع الكتابة، فإن أداها عتق، وإلا كان رقيقا لمشتري الكتابة. ومنع من ذلك أبو حنيفة، لأنه بيع غرر. واختلف قول الشافعي في ذلك بالمنع والإجازة. وقالت طائفة: يجوز بيع المكاتب على أن يمضي في كتابته، فإن أدى عتق وكان ولاؤه للذي ابتاعه ولو عجز فهو عبد له. وبه قال النخعي وعطاء والليث وأحمد وأبو ثور. وقال الأوزاعي: لا يباع المكاتب إلا للعتق، ويكره أن يباع قبل عجزه، وهو قول أحمد وإسحاق. قال أبو عمر: في حديث بريرة إجازة بيع المكاتب إذا رضي بالبيع ولم يكن عاجزا عن أداء نجم قد حل عليه، بخلاف قول من زعم أن بيع

المكاتب غير جائز إلا بالعجز، لأن بريرة لم تذكر أنها عجزت عن أداء نجم، ولا أخبرت بأن النجم قد حل عليه، ولا قال لها النبي صلى الله عليه وسلم أعاجزة أنت أم هل حل عليك نجم. ولو لم يجز بيع المكاتب والمكاتبة إلا بالعجز عن أداء ما قد حل لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد سألها أعاجزة هي أم لا، وما كان ليأذن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٢٠٣

(١). في ك: أشهب.." (١)

"(وخلق كل شيء) لا كما قال المجوس والثنوية: إن الشيطان أو الظلمة يخلق بعض الأشياء. ولا كما يقول من قال: للمخلوق قدرة الإيجاد. **فالآية رد على هؤلاء**. (فقدره تقديرا) أي قدر كل شي مما خلق بحكمته على ما أراد، لا عن سهوة وغفلة، بل جرت المقادير على ما خلق الله إلى يوم القيامة، وبعد القيامة، فهو الخالق المقدر «١»، فإياه فاعبدوه. قوله تعالى: (واتخذوا من دونه آلهة) ذكر ما صنع المشركون على جهة التعجيب في اتخاذهم الآلهة، مع ما أظهر من الدلالة على وحدانيته وقدرته. (لا يخلق شيئا) يعني الآلهة. (وهم يخلقون) لما اعتقد المشركون فيها أنها تضر وتنفع، عبر عنها كما يعبر عما يعقل. (ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا) أي لا دفع ضر وجلب نفع، فحذف المضاف. وقيل: لا يقدرون أن يضروا أنفسهم أو ينفعوها بشيء، ولا لمن يعبدهم، لأنها جمادات. (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أي لا يميتون أحدا، ولا يحيونه. والنشور: الإحياء بعد الموت، أنشر الله الموتى فنشروا. وقد تقدم «٢».
وقال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجبا للميت الناشر

[سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٤ الى ٦]

وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤ ظلما وزورا (٤) وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا (٥) قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما (٦)

قوله تعالى: (وقال الذين كفروا) يعني مشركي قريش. وقال ابن عباس: القائل منهم ذلك النضر بن الحرث، وكذا كل ما في القرآن فيه ذكر الأساطير. قال محمد بن إسحاق: وكان مؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم. (إن هذا) يعني القرآن. (إلا إفك افتراه) أي كذب اختلقه. (وأعانه عليه قوم آخرون) يعني اليهود، قاله مجاهد. وقال ابن عباس:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٢٥٠

(١). في ك: المقتدر.

(٢). راجع ج ٧ ص ٢٢٩ طبعه أولى أو ثانية.." [١]

"قال الشاعر:

لعمر أبيها لو تبدت لناسك ... قد اعتزل الدنيا بإحدى المناسك

لصلى لها قبل الصلاة لربه ... ولا ارتد في الدنيا بأعمال فاتك

وقيل:" اتخذ إلهه هواه" أي أطاع هواه. وعن الحسن لا يهوى شيئا إلا اتبعه، والمعنى واحد. (أفأنت تكون عليه وكيلا) أي حفيظا وكفيلا حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من هذا الفساد. أي ليست الهداية والضلالة موكولتين إلى مشيئك، وإنما عليك التبليغ. **وهذا رد على القدرية**. ثم قيل: إنها منسوخة بآية القتال. وقيل: لم تنسخ، لأن الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم.

[سورة الفرقان (٢٥): آية ٤٤]

أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)

قوله تعالى: (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) ولم يقل أنهم لأن منهم من قد علم أنه يؤمن. وذمهم عز وجل بهذا." أم تحسب أن أكثرهم يسمعون" سماع قبول أو يفكرون فيما تقول فيعقلونه، أي أهم بمنزلة من لا يعقل ولا يسمع. وقيل: المعنى أنهم لما لم ينتفعوا بما يسمعون فكأنهم لم يسمعوا، والمراد أهل مكة. وقيل:" أم" بمعنى بل في مثل هذا الموضع. (إن هم إلا كالأنعام) أي في الأكل والشرب لا يفكرون في الآخرة. (بل هم أضل) إذ لا حساب ولا عقاب على الأنعام. وقال مقاتل: البهائم تعرف ربها وتهتدي إلى مراعيها وتنقاد لأربابها التي تعقلها، وهؤلاء لا ينقادون ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم. وقيل: لأن البهائم إن لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك أيضا.

[سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٤٥ الى ٤٦]

ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا (٤٥) ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا (٤٦)." [٢]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/١٣

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٦/١٣

"السادسة- أي علمت ما لم تعلمه من الأمر فكان في **هذا رد على من** قال: إن الأنبياء تعلم الغيب.
وحكى الفراء" أحط" يدغم التاء في الطاء. وحكى" أحت" بقلب الطاء تاء وتدغم. السابعة- قوله تعالى:
(وجئتك من سبإ بنبإ يقين) أعلم سليمان ما لم يكن يعلمه، ودفع عن نفسه ما توعده من العذاب والذبح.
وقرأ الجمهور" سبإ" بالصرف. وابن كثير وأبو عمرو" سبأ" بفتح الهمزة وترك الصرف، فالأول على أنه اسم
رجل نسب إليه قوم، وعليه قول الشاعر:

الواردون وتيم في ذرى سبإ ... قد عض أعناقهم جلد الجواميس

وأنكر الزجاج أن يكون اسم رجل، وقال:" سبإ" اسم مدينة تعرف بمأرب باليمن بينها وبين صنعاء مسيرة
ثلاثة أيام. وأنشد للنابغة الجعدي:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ... يبنون من دون سيله العرما

قال: فمن لم يصرف قال إنه اسم مدينة، ومن صرف وهو الأكثر فلأنه اسم البلد فيكون مذكرا سمي به
مذكر. وقيل: اسم امرأة سميت بها المدينة. والصحيح أنه اسم رجل، كذلك في كتاب الترمذي من حديث
فروة بن مسيك المرادي عن النبي صلى الله عليه وسلم. وسيأتي إن شاء الله تعالى. قال ابن عطية: وخفي
هذا الحديث على الزجاج فخبط عشواء. وزعم الفراء أن الرؤاسي سأل أبا عمرو بن العلاء عن سبإ فقال:
ما أدري ما هو. قال النحاس: وتأول الفراء على أبي عمرو أنه منعه من الصرف لأنه مجهول، وأنه إذا لم
يعرف الشيء لم ينصرف. وقال النحاس: وأبو عمرو أجل من أن يقول مثل هذا، وليس في حكاية الرؤاسي
عنه دليل أنه إنما منعه من الصرف لأنه لم يعرفه، وإنما قال لا أعرفه، ولو سئل نحوي عن اسم فقال لا
أعرفه لم يكن في هذا دليل على أنه يمنعه من الصرف، بل الحق على غير هذا، والواجب إذا لم يعرفه أن
يصرفه، لأن أصل الأسماء الصرف، وإنما يمنع الشيء من الصرف لعلة داخلة عليه، فالأصل ثابت بيقين
فلا يزول بما لا يعرف. وذكر كلاما كثيرا." (١)

"والضمير في" لهم" لقريش، عن مجاهد وقيل: هو لليهود. وقيل: هو لهم جميعا. **والآية رد على من**
قال هلا أوتي محمد القرآن جملة واحدة. (لعلهم يتذكرون) قال ابن عباس: يتذكرون محمدا فيؤمنوا به.
وقيل: يتذكرون فيخافوا أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم، قاله علي بن عيسى. وقيل: لعلهم يتعظون بالقرآن
عن عبادة الأصنام. حكاه النقاش.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٨١

[سورة القصص (٢٨): الآيات ٥٢ الى ٥٣]

الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (٥٢) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين (٥٣)

قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) أخبر أن قوما ممن أوتوا الكتاب من بني إسرائيل من قبل القرآن يؤمنون بالقرآن، كعبد الله بن سلام وسلمان. ويدخل فيه من أسلم من علماء النصارى، وهم أربعون رجلا، قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة، اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة، وثمانية نفرا أقبلوا من ال شام وكانوا أئمة النصارى: منهم بحيراء الراهب وأبرهة والأشرف وعامر وأيمن وإدريس ونافع. كذا سماهم الماوردي. وأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية والتي بعدها" أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا" قاله قتادة. وعنه أيضا: أنها أنزلت في عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي، أسلموا فنزلت فيهم هذه الآية. وعن رفاعة القرظي: نزلت في عشرة أنا أحدهم. وقال عروة بن الزبير: نزلت في النجاشي وأصحابه ووجه باثني عشر رجلا فجلسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أبو جهل وأصحابه قريبا منهم، فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلما قاموا من عنده تبعهم أبو جهل ومن معه، فقال لهم: خيبكم الله من ركب، وقبحكم من وفد، لم تلبثوا أن صدقتموه، وما رأينا ركبا أحمق منكم ولا أجهل، فقالوا:" سلام عليكم" لم نأل أنفسنا رشدا" لنا أعمالنا ولكم أعمالكم" وقد تقدم هذا في" المائدة" «١»

---

(١). راجع ج ٦ ص ٢٥٥ وما بعدها طبعه أولى أو ثانية.." (١)

"قوله تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار) هذا متصل بذكر الشركاء اعبدوهم واختاروهم للشفاعة، أي الاختيار إلى الله تعالى في الشفعاء لا إلى المشركين. وقيل هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال:" لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" يعني نفسه زعم، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف. وقيل: هو جواب اليهود إذ قالوا لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لآمنا به. قال ابن عباس: والمعنى، وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار منهم من يشاء لطاعته. وقال يحيى بن سلام: والمعنى، وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من يشاء لنبوته. وحكى النقاش: أن المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، ويختار الأنصار لدينه. قلت: وفي كتاب البزار مرفوعا صحيحا عن جابر" إن الله تعالى اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحابي أربعة- يعني أبا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٩٦/١٣

بكر وعمر وعثمان وعليا- فجعلهم أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار لي من أمتي أربعة قرون". وذكر سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن أبيه في قوله عز وجل:" وربك يخلق ما يشاء ويختار" قال من النعم الضأن، ومن الطير الحمام. والوقف التام" ويختار". وقال علي بن سليمان: هذا وقف التمام ولا يجوز أن تكون" ما" في موضع نصب ب" يختار" لأنها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شي. قال وفي **هذا رد على القدرية**. قال النحاس: التمام" ويختار" أي ويختار الرسل. (ما كان لهم الخيرة) أي ليس يرسل من اختاروه هم. قال أبو إسحاق:" ويختار" هذا الوقف التام المختار، ويجوز أن تكون" ما" في موضع نصب ب" يختار" ويكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة. قال القشيري: الصحيح الأول لإطباقهم [على] الوقف على قوله" ويختار". قال المهدوي: وهو أشبه بمذهب أهل السنة و" ما" من قوله:" ما كان لهم الخيرة" نفي عام لجميع الأشياء أن يكون للعبد فيها شي سوى اكتسابه بقدرة الله عز وجل. الزمخشري:" ما كان لهم الخيرة" بيان لقوله:" ويختار" لأن معناه يختار ما يشاء، ولهذا لم يدخل العاطف، والمعنى، وإن الخيرة الله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوده الحكمة فيها أي ليس لأحد." (١)

"فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى:" من أنفسكم" ثم قال:" من شركاء"، ثم قال:" مما ملكت أيمانكم" ف" من" الأولى للابتداء، كأنه قال: أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شي منكم وهي أنفسكم. والثانية للتبعيض، والثالثة زائدة لتأكيد الاستفهام. والآية نزلت في كفار قريش، كانوا يقولون في التلبية: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، قاله سعيد بن جبير. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله للمشركين، والمعنى: هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله، فإذا لم ترضوا بهذا لأنفسكم فكيف جعلتم لله شركاء. الثانية- قال بعض العلماء: هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه، وذلك أنه لما قال عز وجل:" ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم" الآية، فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا! فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي، فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب! فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة والخلق كلهم عبيد لله تعالى فيبطل أن يكون شي من العالم شريكا لله تعالى في شي من أفعاله، فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك، إذ الشركة تقتضي المعاونة، ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل، والقديم الأزلي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٣٠٥

منزه عن ذلك عز وجل. وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه، لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب، فافهم ذلك.

[سورة الروم (٣٠): آية ٢٩]

بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين (٢٩)

قوله تعالى: (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) لما قامت عليهم الحجة ذكر أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم في عبادتها وتقليد الأسلاف في ذلك. (فمن يهدي من أضل الله) أي لا هادي لمن أضله الله تعالى. وفي **هذا رد على القدرية**. (وما لهم من ناصرين)." (١)

"[سورة الروم (٣٠): الآيات ٥٢ الى ٥٣]

فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين (٥٢) وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٥٣)

قوله تعالى: (فإنك لا تسمع الموتى) أي وضحت الحجج يا محمد، لكنهم لإلفهم تقليد الأسلاف في الكفر ماتت عقولهم وعميت بصائرهم، فلا يتهيأ لك إسماعهم وهدايتهم. **وهذا رد على القدرية**. (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) أي لا تسمع مواعظ الله إلا المؤمنين الذين يصغون إلى أدلة التوحيد وخلقت لهم الهداية. وقد مضى هذا في" النمل" «١» ووقع قوله" بهاد العمي" هنا بغير ياء.

[سورة الروم (٣٠): آية ٥٤]

الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (٥٤)

قوله تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف) ذكر استدلالا آخر على قدرته في نفس الإنسان ليعتبر. ومعنى:" من ضعف" من نطفة ضعيفة. وقيل:" من ضعف" أي في حال ضعف، وهو ما كانوا عليه في الابتداء من الطفولة والصغر. (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعني الشبيبة. (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) يعني الهرم. وقرأ عاصم وحمزة: بفتح الضاد فيهن، الباقون بالضم، لغتان، والضم لغة النبي صلى الله عليه وسلم. وقرأ الجحدري:" من ضعف ثم جعل من بعد ضعف" بالفتح فيهما،" ضعفا" بالضم خاصة. أراد أن يجمع بين

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٢٣

اللغتين. قال الفراء: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم. الجوهري: الضعف والضعف: خلاف القوة. وقيل: الضعف بالفتح في الرأي، وبالضم في الجسد، ومنه الحديث في الرجل

---

(١). راجع ج ١٣ ص ٢٣٣.." [(١)]

"دون الله، أعبدتموهم لأن لهم شركة في خلق السماوات، أم خلقوا من الأرض شيئا! (أم آتيناهم كتابا) أي أم عندهم كتاب أنزلناه إليهم بالشركة. وكان في **هذا رد على من** عبد غير الله عز وجل، لأنهم لا يجدون في كتاب من الكتب أن الله عز وجل أمر أن يعبد غيره. (فهم على بينة منه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم" على بينة" بالتوحيد، وجمع الباقون. والمعنيان متقاربان إلا أن قراءة الجمع أولى، لأنه لا يخلو من قرأه" على بينة" من أن يكون خالف السواد الأعظم، أو يكون جاء به على لغة من قال: جاءني طلحت، فوقف بالتاء، وهذه لغة شاذة قليلة، قاله النحاس. وقال أبو حاتم وأبو عبيد: الجمع أولى لموافقته الخط، لأنها في مصحف عثمان" بينات" بالألف والتاء. (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) أي أباطيل تغر، وهو قول السادة للسفلة: إن هذه الآلهة تنفعكم وتقربكم. وقيل: إن الشيطان يعد المشركين ذلك. وقيل: وعدهم بأنهم ينصرون عليهم.

[سورة فاطر (٣٥): آية ٤١]

إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا (٤١)

قوله تعالى: (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا) لما بين أن آلهتهم لا تقدر على خلق شي من السماوات والأرض بين أن خالقهما وممسكهما هو الله، فلا يوجد حادث إلا بإيجاده، ولا يبقى إلا ببقائه. و" إن" في موضع نصب بمعنى كراهة أن تزولا، أو لئلا تزولا، أو يحمل على المعنى، لأن المعنى أن الله يمنع السماوات والأرض أن تزولا، فلا حاجة على هذا إلى إضمار، وهذا قول الزجاج. (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) قال الفراء: أي ولو زالتا ما أمسكهما من أحد. و" إن" بمعنى ما. قال: وهو مثل قوله:" ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون" «١» [الروم: ٥١]. وقيل: المراد زوالهما

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٤٦

(١). راجع ص ٤٥ من هذا الجزء.." (١)

"الحجر رجل آخر من بني مخزوم وقال: أقتله بهذا الحجر. فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم طمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم، فرجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه، فهذا معنى الآية. وقال محمد بن إسحاق في روايته: جلس عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل وأمية بن خلف، يرصدون النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغوا من أذاه، فخرج عليهم عليه السلام وهو يقرأ" يس" وفي يده تراب فرماهم به وقرأ:" وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا" فأطرقوا حتى مر عليهم عليه السلام. وقد مضى هذا في سورة" سبحان" «١» ومضى في" الكهف" «٢» الكلام في" سدا" بضم السين وفتحها وهما لغتان." فأغشيناهم" أي غطينا أبصارهم، وقد مضى في أول [البقرة «٣»]. وقرأ ابن عباس وعكرمة ويحيى بن يعمر" فأعشيناهم" بالعين غير معجمة من العشاء في العين وهو ضعف بصرها حتى لا تبصر بالليل قال: متى تأته تعشو إلى ضوء ناره «٤»

وقال تعالى:" ومن يعش عن ذكر الرحمن" [الزخرف: ٣٦] الآية. والمعنى متقارب، والمعنى أعميناهم، كما قال:

ومن الحوادث لا أبا لك أنني ... وضربت علي الأرض بالأسداد

لا أهتدي فيها لموضع تلعة ... وبين العذب وبين أرض مراد

" فهم لا يبصرون" أي الهدى، قاله قتادة. وقيل: محمدا حين ائتمروا على قتله، قاله السدي. وقال الضحاك:" وجعلنا من بين أيديهم سدا" أي الدنيا" ومن خلفهم سدا" أي الآخرة أي عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرائع في الدنيا، قال الله تعالى:" وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم" أي زينوا لهم الدنيا ودعوهم إلى التكذيب بالآخرة. وقيل: على هذا" من بين أيديهم سدا" أي غرورا بالدنيا" ومن خلفهم سدا" أي تكذيبا بالآخرة وقيل:" من بين أيديهم" الآخرة" ومن خلفهم" الدنيا." وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون تقدم في" البقرة" «٥» **والآية رد على القدرية** وغيرهم.

(١). راجع ج ١٠ ص ٢٦٩ طبعه أولى أو ثانيه.

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٥٦/١٤

(٢). راجع ج ١١ ص ٥٩ طبعه أولى أو ثانيه.

(٣). راجع ج ١ ص ١٩١ طبعه ثانيه أو ثالثه.

(٤). هو الحطيئة وتمام البيت:

تجد خير نار عندها خير موقد

(٥). راجع ج ٨ ص ١٨٤ طبعه ثانيه أو ثالثه.." (١)

"قال سيبويه:" أن" بدل من"كم"، ومعنى كم ها هنا الخبر، فلذلك جاز أن يبدل منها ما ليس باستفهام. والمعنى: ألم يروا أن القرون الذين أهلكناهم أنهم إليهم لا يرجعون. وقال الفراء:"كم" في موضع نصب من وجهين: أحدهما ب" يروا" واستشهد على هذا بأنه في قراءة ابن مسعود" ألم يروا من أهلكنا". والوجه الآخر أن يكون"كم" في موضع نصب ب" أهلكنا". قال النحاس: القول الأول محال، لأن"كم" لا يعمل فيها ما قبلها، لأنها استفهام، ومحال أن يدخل الاستفهام في خبر ما قبله. وكذا حكمها إذا كانت خبرا، وإن كان سيبويه قد أومأ إلى بعض هذا فجعل" أنهم" بدلا من كم. وقد رد ذلك محمد بن يزيد أشد رد، وقال:"كم" في موضع نصب ب" أهلكنا" و" أنهم" في موضع نصب، والمعنى عنده بأنهم أي" ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون" بالاستئصال. قال: والدليل على هذا أنها في قراءة عبد الله" من أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون". وقرأ الحسن:" إنهم إليهم لا يرجعون" بكسر الهمزة على الاستئناف. وهذه **الآية رد على من** زعم أن من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد الموت. يريد يوم القيامة للجزاء. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة:" وإن كل لما" بتشديد" لما". وخفف الباقون. فإن مخففة من الثقيلة وما بعدها مرفوع بالابتداء، وما بعده الخبر. وبطل عملها حين تغير لفظها. ولزمت اللام في الخبر فرقا بينها وبين إن التي بمعنى ما." وما" عند أبي عبيدة زائدة. والتقدير عنده: وإن كل لجميع. قال الفراء: ومن شدد جعل" لما" بمعنى إلا و" إن" بمعنى ما، أي ما كل إلا لجميع، كقوله:" إن هو إلا رجل به جنة" [المؤمنون: ٢٥]. وحكى سيبويه: في قوله سألتك بالله لما فعلت. وزعم الكسائي أنه لا يعرف هذا. وقد مضى هذا المعنى في [هود «١»]. وفي حرف أبي" وإن منهم إلا جميع لدينا محضرون".

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/١٠

(١). راجع ج ٩ ص ١٠٥ وما بعدها طبعه أولى أو ثانيه.." (١)

"الثانية- في هذه **الآية رد على القدرية**. قال عمرو بن ذر: قدمنا على عمر بن عبد العزيز فذكر عنده القدر، فقال عمر: لو أراد الله ألا يعصى ما خلق إبليس وهو رأس الخطيئة، وإن في ذلك لعلما في كتاب الله عز وجل، عرفه من عرفه، وجهل من جهله، ثم قرأ:" فإنكم وما تعبدون." ما" أنتم عليه بفاتنين" إلا من كتب الله عز وجل عليه أن يصلى الجحيم. وقال: فصلت هذه الآية بين الناس، وفيها من المعاني أن الشياطين لا يصلون إلى إضلال أحد إلا من كتب الله عليه أنه لا يهتدي، ولو علم الله جل وعز أنه يهتدي لحال بينه وبينهم، وعلى هذا قوله تعالى:" وأجلب عليهم بخيلك ورجلك" [الإسراء: ٦٤] أي لست تصل منهم إلى شي إلا إلى ما في علمي. وقال لبيد بن ربيعة في تثبيت القدر فأحسن:

إن تقوى ربنا خير نفل ... ووبإذن الله ريثي وعجل

أحمد الله فلا ند له ... وبيد يه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ... وناعم البال ومن شاء أضل

قال الفراء: أهل الحجاز يقولون فتنت الرجل، وأهل نجد يقولون أفتنته. الثالثة- روي عن الحسن أنه قرأ:" إلا من صال الجحيم" بضم اللام. النحاس: وجماعة أهل التفسير يقولون إنه لحن، لأنه لا يجوز هذا قاض المدينة. ومن أحسن ما قيل فيه ما سمعت علي بن سليمان يقول، قال: هو محمول عل المعنى، لأن معنى." من" جماعة، فالتقدير صالون، فحذفت النون للإضافة، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين. وقيل: أصله فاعل إلا أنه قلب من صال إلى صائل وحذفت الياء وبقيت اللام مضمومة فهو مثل" شفا جرف هار" [التوبة: ١٠٩]. ووجه ثالث أن تحذف لام" صال" تخفيفا وتجري الإعراب على عينه، كما حذف من قولهم: ما باليت به بالة. وأصلها بالية من بالي كعافية من عافي، ونظيره قراءة من قرأ،" وجنى الجنتين دان" [الرحمن: ٥٤]،" وله الجوار المنشآت" [الرحمن: ٢٤] أجرى الإعراب على العين. والأصل ني قراءة الجماعة صالي باليا ء فحذفها الكاتب من الخط لسقوطها في اللفظ.." (٢)

"الله، ما أخذته حتى يشهد على ذلك غيري. وروي أن امرأة جاءت إلى عمر فقالت له: احكم لي على فلان بكذا فإنك تعلم ما لي عنده. فقال لها: إن أردت أن أشهد لك فنعم وأما الحكم فلا. وفي

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/٢٤

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/١٣٦

صحيح مسلم عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اشترى فرسا فجحده البائع، فلم يحكم عليه بعلمه وقال:" من يشهد لي" فقام خزيمة فشهد فحكم. خرج الحديث أبو داود وغيره وقد مضى في" البقرة." «١»

[سورة ص (٣٨): الآيات ٢٧ الى ٢٩]

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (٢٧) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار (٢٨) كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب (٢٩)

قوله تعالى:" وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا" أي هزلا ولعبا. أي م، خلقنا هما إلا لأمر صحيح وهو الدلالة على قدرتنا." ذلك ظن الذين كفروا" أي حسبان الذين كفروا أن الله خلقهما باطلا." فويل للذين كفروا من النار" ثم ونجهم فقال:" أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات" والميم صلة تقديره، أنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات" كالمفسدين في الأرض" فكان في **هذا رد على المرجئة**، لأنهم يقولون: يجوز أن يكون المفسد ما لصالح أو أرفع درجة منه. وبعده أيضا:" أم نجعل المتقين كالفجار" أي أنجعل أصحاب محمد عليه السلام كالكفار، قاله ابن عباس. وقيل هو عام في المسلمين المتقين والفجار الكافرين وهو أحسن، **وهو رد على منكري** البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي إلى شي واحد.

---

(١). راجع ج ٣ ص ٤٠٥ طبعه أولى أو ثانية.." (١)

"زلفى " وفي حرف أبي" والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدكم إلا لتقربونا إلى الله زلفى" ذكره النحاس. قال: والحكاية في هذا بينة." إن الله يحكم بينهم" أي بين أهل الأديان يوم القيامة فيجازي كلا بما يستحق." إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار" أي من سبق له القضاء بالكفر لم يهتد، أي للدين الذي ارتضاه وهو دين الإسلام، كما قال الله تعالى:" ورضيت لكم الإسلام دينا" وفي **هذا رد على القدرية** وغيرهم على ما تقدم «١». قوله تعالى:" لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء" أي لو أراد أن يسمي أحدا من خلقه بهذا ما جعله عز وجل إليهم." سبحانه" أي تنزيها له عن الولد" هو الله الواحد القهار".

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩١/١٥

[سورة الزمر (٣٩): الآيات ٥ الى ٦]

خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (٥) خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون (٦)

قوله تعالى:" خلق السماوات والأرض بالحق" أي هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبة والولد، ومن كان هكذا فحقه أن يفرد بالعبادة لا أنه يشرك به. ونبه بهذا على أن يتعبد العباد بما شاء وقد فعل. قوله تعالى:" يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل" قال الضحاك: أي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا. وهذا على معنى التكوير في اللغة وهو طرح الشيء بعضه على بعض، يقال كور المتاع أي ألقى بعضه على بعض،

---

(١). تقدم في غير موضع ج ١ ص ١٤٩ طبعه ثانيه أو ثالثه وج ٩ ص ٣٤٠ طبعه أولى أو ثانيه.." [١]

"قوله تعالى" ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا" هذا توبيخ للذين تواصوا باللغو في القرآن. والمعنى: أي كلام أحسن من القرآن، ومن أحسن قولا من الداعي إلى الله وطاعته وهو محمد صلى الله عليه وسلم. قال ابن سيرين والسدي وابن زيد والحسن: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه. وقالت عائشة رضي الله عنها وعكرمة وقيس بن أبي حازم ومجاهد: نزلت في المؤذنين. قال فضيل بن رفيدة: كنت مؤذنا لأصحاب عبد الله بن مسعود، فقال لي عاصم بن هبيرة: إذا أذنت فقلت: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقل وأنا من المسلمين، ثم قرأ هذه الآية، قال ابن العربي: والأول أصح، لأن الآية مكية والأذان مدني، وإنما يدخل فيها بالمعنى، لا أنه كان المقصود وقت القول، ويدخل فيها أبو بكر الصديق حين قال في النبي صلى الله عليه وسلم وقد خنقه الملعون:" أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله" [غافر: ٢٨] وتتضمن كل كلام حسن فيه ذكر التوحيد والإيمان. قلت: وقول ثالث وهو أحسنها، قال الحسن: هذه الآية عامة

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/٢٣٤

في كل من دعا إلى الله. وكذا قال قيس بن أبي حازم قال: نزلت في كل مؤمن. قال: ومعنى" وعمل صالحا" الصلاة بين الأذان والإقامة. وقاله أبو أمامة، قال: صلى ركعتين بين الأذان والإقامة. وقال عكرمة:" وعمل صالحا" صلى وصام. وقال الكلبي: أدى الفرائض. قلت: وهذا أحسنها مع اجتناب المحارم وكثرة المندوب. والله أعلم." وقال إنني من المسلمين" قال ابن العربي: وما تقدم يدل على الإسلام، لكن لما كان الدعاء بالقول والسيف يكون للاعتقاد ويكون للحجة، وكان العمل يكون للرياء والإخلاص، دل على أنه لا بد من التصريح بالاعتقاد لله في ذلك كله، وأن العمل لوجهه. مسألة: لما قال الله تعالى:" وقال إنني من المسلمين" ولم يقل له اشترط إن شاء الله، كان في **ذلك رد على من** يقول أنا مسلم إن شاء الله.." (١)

"فإذا كان في الآخرة لم ينفعهم التأسي شيئا لشغلهم بالعذاب. وقال مقاتل: لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم، لأن قرناءكم وأنتم في العذاب مشتركون كما اشتركتم في الكفر.

[سورة الزخرف (٤٣): آية ٤٠]

أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين (٤٠)

قوله تعالى:" أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي" يا محمد" ومن كان في ضلال مبين" أي ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك إن كفروا، ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم. **وفيه رد على القدرية** وغيرهم، وأن الهدى والرشد والخذلان في القلب خلق الله تعالى، يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٤١ الى ٤٢]

فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون (٤١) أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون (٤٢)

قوله تعالى:" فإما نذهبن بك" يريد نخرجنك من مكة من أذى قريش «١»." فإنا منهم منتقمون. أو نرينك الذي وعدناهم" وهو الانتقام منهم في حياتك" فإنا عليهم مقتدرون" قال ابن عباس: قد أراه الله ذلك يوم بدر، وهو قول أكثر المفسرين. وقال الحسن وقتادة: هي في أهل الإسلام، يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن. و" نذهبن بك" على هذا نتوفينك. وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فأكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به فلم يره في أمته إلا التي تقر به عينه وأبقى النقمة بعده، وليس من نبي إلا وقد أري النقمة في أمته. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أري ما لقيت أمته

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/٣٦٠

من بعده، فما زال منقبضا، ما انبسط ضاحكا حتى لقي، الله عز وجل. وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:] إذا أراد الله بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا. و «٢» - إذا أراد الله بأمة عذابا عذبها ونبيها حي لتقر عينه لما كذبوه وعصوا أمره [.

(١). جملة: مت أذى قريش ساقطة من ن

(٢). ما بين المربعين ساقط من هـ.." [١]

"محمد رسول الله والذين معه" حتى بلغ" يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار". فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية، ذكره الخطيب أبو بكر. قلت: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله. فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته **فقد رد على الله** رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، قال الله تعالى:" محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار" الآية. وقال:" لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة" [الفتح: ١٨] إلى غير ذلك من الآي التي تضمنت الثناء عليهم، والشهادة لهم بالصدق والفلاح، قال الله تعالى:" رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" «١» [الأحزاب: ٢٣]. وقال:" للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا- إلى قوله- أولئك هم الصادقون"»
[الحشر: ٨]، ثم قال عز من قائل:" والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم- إلى قوله- فأولئك هم المفلحون" «٣» [الحشر: ٩]. وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:] خير الناس قرني ثم الذين يلونهم [وقال:] لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه [خرجهما البخاري. وفي حديث آخر:] فلو أن أحدكم أنفق ما في الأرض لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه [. قال أبو عبيد: معناه لم يدرك مد أحدهم إذا تصدق به ولا نصف المد، فالنصيف هو النصف هنا. وكذلك يقال للعشر عشير، وللخمس خميس، وللتسع تسيع، وللثمن ثمين، وللسبع سبيع، وللسدس سديس، وللربع ربيع. ولم تقل العرب للثلث ثليث. وفي البزار عن جابر مرفوعا صحيحا:] إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحابي أربعة- يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعليا- فجعلهم أصحابي [. وقال:] في أصحابي كلهم خير [. وروى عويم بن ساعدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:] إن الله عز وجل اختارني واختار لي أصحابي فجعل لي

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩٢/١٦

منهم وزراء وأختانا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة

---

(١). آية ٢٣ سورة الأحزاب. [ ..... ]

(٢). آية ٨ سورة الحشر.

(٣). آية ٩ سورة الحشر.." [١]

"قوله تعالى:" واعلموا أن فيكم رسول الله" فلا تكذبوا، فإن الله يعلمه أنباءكم فتفتضحون." لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم" أي لو تسارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر لنالكم مشقة وإثم، فإنه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة إليه لكان خطأ، ولعنت من أراد إيقاع الهلاك بأولئك القوم لعداوة كانت بينه وبينهم. ومعنى طاعة الرسول لهم: الائتمار بما يأمر به فيما يبلغونه عن الناس والسماع منهم. والعنت الإثم، يقال: عنت الرجل. والعنت أيضا الفجور والزنى، كما في سورة" النساء" «١». والعنت أيضا الوقوع في أمر شاق، وقد مضى في آخر" براءة" القول في" عنتم" [التوبة: ١٢٨] بأكثر من هذا «٢»." ولكن الله حبب إليكم الإيمان" هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخبرون بالباطل، أي جعل الإيمان أحب الأديان إليكم." وزينه" بتوفيقه." في قلوبكم" أي حسنه إليكم حتى اخترتموه. وفي **هذا رد على القدرية** والإمامية وغيرهم، حسب ما تقدم في غير موضع. فهو سبحانه المنفرد بخلق ذوات الخلق وخلق أفعالهم وصفاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم، لا شريك له." وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان" قال ابن عباس: يريد به الكذب خاصة. وقاله ابن زيد. وقيل: كل ما خرج عن الطاعة، مشتق من فسقت الرطبة خرجت من قشرها. والفأرة من جحرها. وقد مضى في" البقرة" القول فيه مستوفى «٣». والعصيان جمع المعاصي. ثم انتقل من الخطاب إلى الخبر فقال" أولئك" يعني هم الذين وفقهم الله فحبب إليهم الإيمان وكره إليهم الكفر أي قبحه عندهم" هم الراشدون" كقول تعالى:" وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون" «٤» [الروم: ٣٩]. قال النابغة:

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأمد

والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه، من الرشاد وهي الصخرة.

---

(١). راجع ج ٥ ص (١٣٧)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦/٢٩٧

(٢). راجع ج ٨ ص (٣٠٢)

(٣). راجع ج ١ ص ٤ (٢٤٥)

(٤). آية ٣٩ سورة الروم.." (١)

"وهذا رد على المعتزلة عظيم في التزام المصالح، لكن راوي الحديث عن زيد ابنه عبد الرحمن وقد ضعفه العلماء. والأمر في قوله تعالى: (ذلك خير لكم وأطهر) نص متواتر في الرد على المعتزلة. والله أعلم. الثالثة- روى الترمذي عن علي بن علقمة الأنماري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) [سألته «١»] قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (ما ترى دينارا) قلت لا يطيقونه. قال: (فنصف دينار) قلت: لا يطيقونه. قال: (فكم) قلت: شعيرة. قال: (إنك لزهيد) قال فنزلت: (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) الآية. قال: فبي «٢» خفف الله عن هذه الأمة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، ومعنى قوله: شعيرة يعني وزن شعيرة من ذهب. قال ابن العربي: وهذا يدل على مسألتين حسنتين أصوليتين: الأولى- نسخ العبادة قبل فعلها. والثانية- النظر في المقدرات بالقياس، خلافا لأبي حنيفة. قلت: الظاهر أن النسخ إنما وقع بعد فعل الصدقة. وقد روي عن مجاهد: أن أول من تصدق في ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وناجى النبي صلى الله عليه وسلم. روي أنه تصدق بخاتم. وذكر القشيري وغيره عن علي بن أبن طالب أنه قال: (في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، وهي:) يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) كان لي دينار فبعته، فكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفد، فنسخت بالآية الأخرى (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات). وكذلك قال ابن عباس: نسخها الله بالآية التي بعدها. وقال ابن عمر: لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى. (ذلك خير لكم) أي من إمساكها (وأطهر) لقلوبكم من المعاصي (فإن لم تجدوا) يعني الفقراء (فإن الله غفور رحيم).

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١٤/١٦

(١). زيادة من ح، ز، س، ل، هـ.

(٢). كلمة: (فبى) ساقطة من ل.." (١)

"أي مخوف، وخص الإنذار بمن يخشى، لأنهم المنتفعون به، وإن كان منذرا لكل مكلف، وهو كقوله تعالى: إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب [يس: ١١]. وقراءة العامة منذر بالإضافة غير منون، طلب التخفيف، وإلا فأصله التنوين، لأنه للمستقبل وإنما لا ينون في الماضي. قال الفراء: يجوز التنوين وتركه، كقوله تعالى: بالغ أمره [الطلاق: ٣]، وبالغ أمره وموهن كيد الكافرين [الأنفال: ١٨] وموهن كيد الكافرين والتنوين هو الأصل، وبه قرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج وابن محيصن وحميد وعياش عن أبي عمرو (منذر) منونا، وتكون في موضع نصب، والمعنى نصب، إنما ينتفع بإنذارك من يخشى الساعة. وقال أبو علي: يجوز أن تكون الإضافة للماضي، نحو ضارب زيد أمس، لأنه قد فعل الإنذار، **الآية رد على من** قال: أحوال الآخرة غير محسوسة، وإنما هي راحة الروح أو تألمها من غير حس. كأنهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا أي في دنياهم، إلا عشية أي قدر عشية أو ضحاها أي أو قدر الضحا الذي يلي تلك العشية، والمراد تقليل مدة الدنيا، كما قال تعالى: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار [الأحقاف: ٣٥]. وروى الضحاك عن ابن عباس: كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا يوما واحدا. وقيل: لم يلبثوا في قبورهم إلا عشية أو ضحاها، وذلك أنهم استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول. وقال الفراء: يقول القائل: وهل للعشية ضحا؟ وإنما الضحا لصدر النهار، ولكن أضيف الضحا إلى العشية، وهو اليوم الذي يكون فيه على عادة العرب، يقولون: آتيك الغداة أو عشيتها، وآتيك العشية أو غداتها، فتكون العشية في معنى آخر النهار، والغداة في معنى أول النهار، قال: وأنشدني بعض بني عقيل:

نحن صبحنا عامرا في دارها ... جردا تعادى طرفي نهارها

عشية الهلال أو سرارها

أراد: عشية الهلال، أو سرار العشية، فهو أشد من آتيك الغداة أو عشيها.." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٠٢/١٧

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٠/١٩

"[سورة البقرة (٢): آية ٨٠]

وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون (٨٠)

فيه ثلاث مسائل: الأولى قوله تعالى:" وقالوا" يعني اليهود." لن تمسنا النار إلا أياما معدودة" اختلف، في سبب نزولها، فقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود: (من أهل النار). قالوا: نحن، ثم تخلفونا أنتم. فقال: (كذبتم لقد علمتم أنا لا نخلفكم) فنزلت هذه الآية، قال ابن زيد. وقال عكرمة عن ابن عباس: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف، وإنما يعذب الناس في النار لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوم واحد في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام، فأنزل الله الآية، وهذا قول مجاهد. وقالت طائفة: قالت اليهود إن في التوراة أن جهنم مسيرة أربعين سنة، وأنهم يقطعون في كل يوم سنة حتى يكملوه، وتذهب جهنم. ورواه الضحاك عن ابن عباس. وعن ابن عباس: زعم اليهود أنهم وجدوا في التوراة مكتوبا أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم. وقالوا: إنما نعذب حتى ننتهي إلى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك. وعن ابن عباس أيضا وقتادة: أن اليهود قالت إن الله أقسم أن يدخلهم النار أربعين يوما عدد عبادتهم العجل، فأكذبهم الله، كما تقدم. الثانية- في هذه **الآية رد على أبي** حنيفة وأصحابه حيث استدلوا بقوله عليه السلام: (دعي الصلاة أيام أقرائك) في أن مدة الحيض ما يسمى أيام الحيض، وأقلها ثلاثة وأكثرها عشرة، قالوا: لأن ما دون الثلاثة يسمى يوما ويومين، وما زاد على العشرة يقال فيه أحد عشر يوما ولا يقال فيه أيام، وإنما يقال أيام من الثلاثة إلى العشرة، قال الله تعالى:" فصيام ثلاثة أيام في الحج «١» "" تمتعوا في داركم ثلاثة أيام «٢» "،" سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما «٣» "

---

(١). راجع ص ٣٩٩ من هذا الجزء

(٢). راجع ج ٩ ص ٣

(٣). راجع ج ١٨ ص ٢٥٩.." [1]

"هو الصواب، والذي عليه الناس هو الباطل والمحال، فأبطل معنى الآية، لأن أهل التفسير قالوا: نزلت الآية جوابا لأهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: صف لنا ربك، أمن ذهب هو أم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠/٢

من نحاس أم من صفر؟ فقال الله عز وجل ردا عليهم: قل هو الله أحد. ففي هو دلالة على موضع الرد، ومكان الجواب، فإذا سقط «١» بطل معنى الآية، وصح الافتراء على الله عز وجل، والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم. وروى الترمذي عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل: قل هو الله أحد. الله الصمد. والصمد: الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شي يولد إلا سيموت، وليس شي يموت إلا سيورث، وأن الله تعالى لا يموت ولا يورث. ولم يكن له كفوا أحد «٢»: قال: لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شي. وروي عن أبي العالية: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا: انسب لنا ربك. قال: فأتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد، فذكر نحوه، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب، وهذا أصح، قاله الترمذي. قلت: ففي هذا الحديث إثبات لفظ قل هو الله أحد وتفسير الصمد، وقد تقدم. وعن عكرمة نحوه. وقال ابن عباس: لم يلد كما ولدت مريم، ولم يولد كما ولد عيس وعزير. **وهو رد على النصارى**، وعلى من قال: عزير ابن الله. (ولم يكن له كفوا أحد) أي لم يكن له مثلا أحد. وفية تقدم وتأخير، تقديره: ولم يكن له كفوا أحد، فقدم خبر كان على اسمها، لينساق أواخر الآي على نظم واحد. وقرى (كفوا) بضم الفاء وسكونها. وقد تقدم في" البقرة" أن كل اسم على ثلاث أحرف أوله مضموم، فإنه يجوز في عينه الضم والإسكان «٣»، إلا قوله تعالى: وجعلوا له من عباده جزءا «٤» [الزخرف: ١٥] لعلة تقدمت. وقرأ حفص (كفوا) مضموم الفاء غير مهموز. وكلها لغات فصيحة.

---

(١). في نسخة من الأصل: (فأسقط آية وأبطل المعنى وصحف افتراء على الله عز وجل ... ) إلخ.

(٢). بالهمزة قراءة نافع وهي قراءة المؤلف. [ ..... ]

(٣). راجع ج ١ ص ٤٤٧ طبعه ثانية أو ثالثة.

(٤). آية ١٥ سورة الزخرف راجع ج ١٦ ص ٦٩." (١)

"واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود لفرية، وجعلته النصارى ربا، فهدى الله المؤمنين بأن جعلوه عبد الله. وقال الفراء: هو من المقلوب- واختاره الطبري- قال: وتقديره فهدى الله الذين آمنوا للحق لما «١» اختلفوا فيه. قال ابن عطية: ودعاه إلى هذا التقدير خوف أن يحتمل اللفظ أنهم اختلفوا في الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه، وعساه غير الحق في نفسه، نحا إلى هذا الطبري في حكايته عن الفراء،

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٠/٢٤٦

وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر، وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ووصفه، لأن قوله:" فهدى" يقتضي أنهم أصابوا الحق، وتم المعنى في قوله:" فيه" وتبين بقوله:" من الحق" جنس ما وقع الخلاف فيه، قال المهدوي: وقدم لفظ الاختلاف على لفظ الحق اهتماما، إذ العناية إنما هي بذكر الاختلاف. قال ابن عطية: وليس هذا عندي بقوي. وفي قراءة عبد الله بن مسعود" لما اختلفوا عنه من الحق" أي عن الإسلام. و (بإذنه) قال الزجاج: معناه بعلمه. قال النحاس: وهذا غلط، والمعنى بأمره، وإذا أذنت في الشيء فقد أمرت به، أي فهدى الله الذين آمنوا بأن أمرهم بما يجب أن يستعملوه. قوله تعالى: والله يهدي من يشاء إلى صراط **مستقيم رد على المعتزلة** في قولهم: إن العبد يستبد بهداية نفسه.

[سورة البقرة (٢): آية ٢١٤]

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب (٢١٤)

قوله تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة" حسبتم" معناه ظننتم. قال قتادة والسدي وأكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة، والحر والبرد، وسوء العيش، وأنواع الشدائد، وكان كما قال الله تعالى:" وبلغت القلوب الحناجر «٢» ". وقيل: نزلت في حرب أحد، نظيرها- في آل عمران-

---

(١). في ز، ج:" وما اختلفوا فيه" وفى تفسير الطبري:" فيما ... ".

(٢). آية ١٠ سورة الأحزاب.." [١]

"الثانية- قوله تعالى: (فلا جناح عليكم) خطاب لجميع الناس، والتلبس بهذا الحكم هو للحكام والأولياء. (فيما فعلن) يريد به التزوج فما دونه من التزين واطراح الإحداد. (بالمعروف) أي بما أذن فيه الشرع من اختيار أعيان الأزواج وتقدير الصداق دون مباشرة العقد، لأنه حق للأولياء كما تقدم. الثالثة- وفي هذه الآية دليل على أن للأولياء منعهن من التبرج والتشوف للزوج في زمان العدة. **وفيها رد على إسحاق** في قوله: إن المطلقة إذا طعنت في الحيضة الثالثة بانت وانقطعت رجعة الزوج الأول، إلا أنه لا يحل لها أن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣/٣

تتزوج حتى تغتسل. وعن شريك أن لزوجها الرجعة ما لم تغتسل ولو بعد عشرين سنة، قال الله تعالى:" فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن" وبلوغ الأجل هنا انقضاء العدة بدخولها في الدم من الحيضة الثالثة ولم يذكر غسلا، فإذا انقضت عدتها حلت للأزواج ولا جناح عليها فيما فعلت من ذلك. والحديث «١» عن ابن عباس لو صح يحتمل أن يكون منه على الاستحباب، والله أعلم.

[سورة البقرة (٢): آية ٢٣٥]

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم (٢٣٥)

قوله تعالى: (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) إلى قوله (معروفا) فيه تسع مسائل: الأولى- قوله تعالى: (ولا جناح) أي لا إثم، والجناح الإثم، وهو أصح في الشرع. وقيل: بل هو الأمر الشاق، وهو أصح في اللغة، قال الشماخ:

إذا تعلو براكبها خليجا ... تذكر ما لديه من الجناح

(١). يشير إلى ما مضى عن ابن عباس من أن المرأة إذا طعنت في الحيضة الثالثة بانت وانقطعت رجعت الزوج، وهذا قول إسحاق المتقدم وهو ضعيف راجع ص ١١٧ س ١٦ من هذا الجزء.." (١)

"من أهل العلم أن الذمي لا يعطى من زكاة الأموال شيئا، ثم ذكر جماعة ممن نص على ذلك ولم يذكر خلافا. وقال المهدوي: رخص للمسلمين أن يعطوا المشركين من قراباتهم من صدقة الفريضة لهذه الآية. قال ابن عطية: وهذا مردود بالإجماع. والله أعلم. وقال أبو حنيفة: تصرف إليهم زكاة الفطر. ابن العربي: وهذا ضعيف لا أصل له. ودليلنا أنها صدقة طهرة واجبة فلا تصرف إلى الكافر كصدقة الماشية والعين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" أغنوهم عن سؤال هذا اليوم" يعني يوم الفطر. قلت: وذلك لتشاغلهم بالعيد وصلاة العيد وهذا لا يتحقق في المشركين. وقد يجوز صرفها إلى غير المسلم في قول من جعلها سنة، وهو أحد القولين عندنا، وهو قول أبي حنيفة على ما ذكرنا، نظرا إلى عموم الآية في البر وإطعام الطعام وإطلاق الصدقات. قال ابن عطية: وهذا الحكم متصور للمسلمين مع «١» أهل ذمتهم ومع

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨٧/٣

المسترقين من الحربيين. قلت: وفي التنزيل" ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا «٢» " والأسير في دار الإسلام لا يكون إلا مشركا. وقال تعالى:" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم «٣» ". فظواهر هذه الآيات تقتضي جواز صرف الصدقات إليهم جملة، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم خص منها الزكاة المفروضة، لقوله عليه السلام لمعاذ:" خذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم" واتفق العلماء علن ذلك على ما تقدم. فيدفع إليهم من صدقة التطوع إذا احتاجوا، والله أعلم. قال ابن العربي: فأما المسلم العاصي فلا خلاف أن صدقة الفطر تصرف إليه إلا إذا كان يترك أركان الإسلام من الصلاة والصيام فلا تدفع إليه الصدقة حتى يتوب. وسائر أهل المعاصي تصرف الصدقة إلى مرتكبيها لدخولهم في اسم المسلمين. وفي صحيح مسلم أن رجلا تصدق على غني وسارق وزانية وتقبلت صدقته، على ما يأتي بيانه في آية الصدقات «٤». الثالثة- قوله تعالى: (ولكن الله يهدي من يشاء) أي يرشد من يشاء. وفي **هذا رد على القدرية** وطوائف من المعتزلة، كما تقدم.

---

(١). في ابن عطية: متصور للمسلمين اليوم مع إلخ.

(٢). راجع ج ١٩ ص ١٢٥.

(٣). راجع ج ١٨ ص ٥٨.

(٤). راجع ج ٨ ص ١٦٧.." (١)

"الناس وأمر يخص كل إنسان. و" يوما" منصوب على المفعول لا على الظرف." ترجعون فيه إلى الله" من نعته. وقرأ أبو عمرو بفتح التاء وكسر الجيم، مثل" إن إلينا إيابهم «١» " واعتبارا بقراءة أبي" يوما تصيرون فيه إلى الله". والباقون بضم التاء وفتح الجيم، مثل" ثم ردوا إلى الله «٢» "." ولئن رددت إلى ربي «٣» " واعتبارا بقراءة عبد الله" يوما تردون فيه إلى الله" وقرأ الحسن" يرجعون" بالياء، على معنى يرجع جميع الناس. قال ابن جني: كأن الله تعالى رفق بالمؤمنين على أن يواجههم بذكر الرجعة، إذ هي مما ينفطر لها القلوب فقال لهم:" واتقوا يوما" ثم رجع في ذكر الرجعة إلى الغيبة رفقا بهم. وجمهور العلماء على أن هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية. وقال قوم: هو يوم الموت. قال ابن عطية: والأول أصح بحكم الألفاظ في الآية. وفي قوله" إلى الله" مضاف محذوف، تقديره إلى حكم الله وفصل قضائه."

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/٣٣٨

وهم" **رد على معنى** "كل" لا على اللفظ، إلا على قراءة الحسن" يرجعون" فقوله" وهم" **رد على ضمير** الجماعة في" يرجعون". وفي هذه الآية نص على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الأعمال، **وهو رد على الجبرية**، وقد تقدم.

[سورة البقرة (٢): آية ٢٨٢]

يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونه؛ بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم (٢٨٢)

---

(١). راجع ج ٢٠ ص ٣٧.

(٢). راجع ج ٧ ص ٦.

(٣). راجع ج ١٠ ص ٤٠٤." (١)

"ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وجاء «١». وفي **هذا رد على بعض** جهال المتصوفة حيث قال: الذي يطلب الولد أحمق، وما عرف أنه [هو] «٢» الغبي الأخرق، قال الله تعالى مخبرا عن إبراهيم الخليل:" واجعل لي لسان صدق في الآخرين" [الشعراء: ٨٤] وقال:" والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة «٣» أعين" [الفرقان: ٧٤]. وقد ترجم البخاري على هذا" باب طلب الولد". وقال صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة حين مات ابنه: (أعرستم الليلة)؟ قال: نعم. قال: (بارك الله لكما في غابر ليلتكما). قال فحملت. في البخاري: قال سفيان فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن. وترجم أيضا" باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة" وساق حديث أنس بن مالك قال:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/٣٧٦

قالت أم سليم: يا رسول الله، خادمك أنس ادع الله له. فقال: (اللهم أكثر مال وولده وبارك له فيما أعطيته). وقال صلى الله عليه وسلم: (اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين). خرجه البخاري ومسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم). أخرجه أبو داود. والأخبار في هذا المعنى كثيرة تحت على طلب الولد وتندب إليه، لما يرجوه الإنسان من نفعه في حياته وبعد موته. قال صلى الله عليه وسلم: (إذا مات أحدكم انقطع عمله إلا من ثلاث) فذكر (أو ولد صالح يدعو له). ولو لم يكن إلا هذا الحديث لكان فيه كفاية. الرابعة- فإذا ثبت هذا فالواجب على الإنسان أن يتضرع إلى خالقه في هداية ولده وزوجه بالتوفيق لهما والهداية والصلاح والعفاف والرعاية، وأن يكونا معينين له على دينه ودنياه حتى تعظم منفعته بهما في أولاه وأخراه، ألا ترى قول زكريا:" واجعله رب رضيا" [مريم: ٤] «٤» وقال:" ذرية طيبة". وقال:" هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين" [الفرقان: ٧٤]. ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنس فقال: (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه). خرجه البخاري ومسلم، وحسبك.

---

(١). الوجاء: أن ترض عروق أنثيا الفحل رضا يذهب شهوة النكاح وهو شبيه بالخصاء. أراد أن الصوم يقطع شهوة النكاح كما يقطعها الوجاء.

(٢). كذا في ب، ود.

(٣). راجع ج ١٣ ص ١١٢ وص ٨٢.

(٤). راجع ج ١١ ص ٨١. [ ..... ]." (١)

"[وأسلم] «١» يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين «٢»، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله- إلى قوله:" فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون". لفظ مسلم. والسواء العدل والنصفة، قاله قتادة. وقال زهير:

أروني خطة لا ضيم فيها ... يسوي بيننا فيها السواء

الفراء: ويقال في معنى العدل سوى وسوى، فإذا فتحت السين مددت وإذا كسرت أو ضممت قصرت، كقوله تعالى:" مكانا سوى" [طه: ٥٨]. قال: وفي قراءة عبد الله" إلى كلمة عدل بيننا وبينكم" وقرأ قعنب «٣» " كلمة" بإسكان اللام، ألقى حركة اللام على الكاف، كما يقال كبد. فالمعنى أجيبوا إلى ما دعيتم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧٣/٤

إليه، وهو الكلمة العادلة المستقيمة التي ليس فيها ميل عن الحق، وقد فسرها بقوله تعالى:" ألا نعبد إلا الله" فموضع" أن" خفض على البدل من" كلمة"، أو رفع على إضمار مبتدأ، التقدير هي أن لا نعبد إلا الله. أو تكون مفسرة لا موضع لها، ويجوز مع ذلك في" نعبد" وما عطف عليه الرفع والجزم: فالجزم على أن تكون" أن" مفسرة بمعنى أي، كما قال عز وجل:" أن امشوا" [ص: ٦] وتكون" لا" جازمة. هذا مذهب سيبويه. ويجوز على هذا أن ترفع" نعبد" وما بعده يكون خبرا. ويجوز الرفع بمعنى أنه لا نعبد، ومثله" ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا" [طه: ٨٩] «٤». وقال الكسائي والفراء:" ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ" بالجزم على التوهم أنه ليس في أول الكلام أن. الثانية- قوله تعالى: (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) أي لا نتبعه في تحليل شي أو تحريمه إلا فيما حلله الله تعالى. وهو نظير قوله تعالى:" اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله" [التوبة: ٣١] «٥» معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله. وهذا يدل على بطلان القول بالاستحسان المجرد الذي لا يستند إلى دليل شرعي، قال الكيا الطبري: مثل استحسانات أبي حنيفة في التقديرات التي قدرها دون مستندات بينة. **وفيه رد على الروافض** الذين يقولون: يجب قبول [قول] الامام دون إبانة

---

(١). زيادة عن صحيح مسلم.

(٢). الأريسيين: الأكارون والفلاحون والخدم، والخول، كل ذلك وارد في معنى هذه الكلمة.

(٣). هو أبو السمان العدوى.

(٤). راجع ج ١١ ص ٢٣٦. [ ..... ]

(٥). راجع ج ٨ ص ١١٩.." (١)

"صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين، فأنزل الله تعالى:" ألن يكفيكم- إلى قوله: مسومين" فبلغ كرزا الهزيمة فلم يمدهم ورجع، فلم يمدهم «١» الله أيضا بالخمسة آلاف، وكانوا قد مدوا بألف. وقيل: إنما وعد الله المؤمنين يوم بدر إن صبروا على طاعته، واتقوا محارمه أن يمدهم أيضا في حروبهم كلها، فلم يصبروا ولم يتقوا محارمه إلا في يوم الأحزاب، فأمدهم حين حاصروا قريظة. وقيل: إنما كان هذا يوم أحد، وعدهم الله المدد إن صبروا، فما صبروا فلم يمدهم بملك واحد، ولو أمدوا لما هزموا، قاله عكرمة والضحاك.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/١٠٦

فإن قيل: فقد ثبت عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره يوم بدر «٢» رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد. قيل له: لعل ه ذا مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم، خصه بملكين يقاتلان عنه، ولا يكون هذا إمدادا للصحابة. والله أعلم. الثانية- نزول الملائكة سبب من أسباب النصر لا يحتاج إليه الرب تعالى، وإنما يحتاج إليه المخلوق فليعلق القلب بالله وليثق به، فهو الناصر بسبب وبغير سبب،" إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" [يس: ٨٢] «٣». لكن أخبر بذلك ليمتثل الخلق ما أمرهم به من الأسباب التي قد خلت من قبل،" ولن تجد لسنة الله تبديلا" [الأحزاب: ٦٢] «٤»، ولا يقدح ذلك في التوكل. **وهو رد على من** قال: إن الأسباب إنما سنت في حق الضعفاء لا للأقوياء، فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا الأقوياء وغيرهم هم الضعفاء، وهذا واضح. و" مد" في الشر و" أمد" في الخير. وقد تقدم في البقرة «٥». وقرأ أبو حيوة" منزلين" بكسر الزاي مخففا، يعني منزلين النصر. وقرأ ابن عامر مشددة الزاي مفتوحة على التكثير. ثم قال: (بلى) وتم الكلام." إن تصبروا" شرط، أي على لقاء العدو. (وتتقوا) عطف عليه، أي معصيته. والجواب" يمدكم". ومعنى" من فورهم" من وجههم. هذا عن عكرمة وقتادة والحسن

---

(١). في ج وا: فأمدهم. والمثبت هو ما في باقي الأصول وهو التحقيق قال الألوسي: ولم يمدوا بها بناء على تعليق الامداد بها بمجموع الأمور الثلاثة إلخ.

(٢). في ب وهـ: يوم أحد.

(٣). راجع ج ١٥ ص ٦٠.

(٤). راجع ج ١٤ ص ٢٤٧.

(٥). راجع ج ١ ص ٢٠٩.." [١]

"إلى: والأرحام (، ثم قال:) تصدق رجل بديناره تصدق رجل بدرهمه تصدق رجل بصاع تمره) وذكر الحديث «١». فمعنى هذا على النصب، لأنه حضهم على صلة أرحامهم. وأيضا فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت). فهذا يرد قول من قال: المعنى أسألك بالله وبالرحم. وقد قال أبو إسحاق: معنى (تسائلون (به) يعني تطلبون حقوقكم به. ولا معنى للخفض أيضا مع هذا. قلت: هذا ما وقفت عليه من القول لعلماء اللسان في منع قراءة (والأرحام) بالخفض، واختاره ابن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩٥/٤

عطية. ورده الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري، واختار العطف فقال: ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين، لأن القراءات التي قرابها «٢» أئمة القراء ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم تواترا يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شي عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن رد ذلك **فقد رد على النبي** صلى الله عليه وسلم، واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور، ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو، فإن العربية تتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يشك أحد في فصاحته. وأما ما ذكر من الحديث ففيه نظر، لأنه عليه السلام قال لأبي العشراء «٣»: (وأبيك لو طعنت في خاصرته). ثم النهي إنما جاء في الحلف بغير الله، وهذا توسل إلى الغير بحق الرحم فلا نهي فيه. قال القشيري: وقد قيل هذا إقسام بالرحم، أي اتقوا الله وحق الرحم «٤»، كما تقول: افعل كذا وحق أبيك. وقد جاء في التنزيل: (والنجم)، والطور، والتين، لعمرك) وهذا تكلف. قلت: لا تكلف فيه فإنه لا يبعد أن يكون (والأرحام) من هذا القبيل، فيكون [أقسم بها «٥»] كما أقسم بمخلوقاته الدالة على وحدانيته وقدرته تأكيدا لها حتى قرنها بنفسه. والله أعلم.

---

(١). الرواية في صحيح مسلم كتاب الزكاة (تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمرة). وليس فيها تكرار. وهى الرواية ذاتها والسند.

(٢). في ب وط: قرأتها.

(٣). في تهذيب التهذيب: (أبو العشراء الدارمي عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم:) لو طعنت في فخذها الا جزاك) الحديث في الذكاة.

(٤). في ج: الأرحام.

(٥). في ب وج وط ود وى.." (١)

"صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه، ثم رد عليه السلام. وأخرجه مسلم وليس فيه لفظ (بئر «١»). وأخرجه الدارقطني من حديث ابن عمر وفيه (**ثم رد على الرجل** السلام وقال:) إنه لم يمنعني أن أرد عليك السلام إلا أني لم أكن على طهر. الرابعة والعشرون- قوله تعالى: (أو جاء أحد منكم من الغائط) الغائط أصله ما انخفض من الأرض، والجمع الغيطان أو الأغواط، وبه سمي غوطة دمشق. وكانت العرب تقصد هذا الصنف من المواضع لقضاء حاجتها تسترا عن أعين الناس، ثم سمي الحدث الخارج من الإنسان غائطا للمقارنة «٢». وغاط في الأرض يغوط إذا غاب. وقرأ الزهري: (من

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٤

الغيط) فيحتمل أن يكون أصله الغيط فخفف، كهين وميت وشبهه. ويحتمل أن يكون من الغوط، بدلالة قولهم تغوط إذا أتى الغائط، فقلبت واو الغوط ياء، كما قالوا في لا حول لا حيل. و (أو) بمعنى الواو، أي إن كنتم مرضى أو على سفر وجاء أحد منكم من الغائط فتيمموا فالسبب الموجب للتيمم على هذا هو الحدث لا المرض والسفر، فدل على جواز التيمم في الحضر كما بيناه. والصحيح في (أو) أنها على بابها عند أهل النظر. فلأو معناها، وللواو معناها. وهذا عندهم على الحذف، والمعنى وإن كنتم مرضى مرضا لا تقدرون فيه على مس الماء أو على سفر ولم تجدوا ماء واحتجتم إلى الماء. والله أعلم. الخامسة والعشرون- لفظ (الغائط) يجمع بالمعنى جميع الأحداث الناقضة للطهارة الصغرى. وقد اختلف الناس في حصرها، وأنبل ما قيل في ذلك أنها ثلاثة أنواع، لا خلاف فيها في مذهبنا: زوال العقل، خارج معتاد، ملامسة. وعلى مذهب أبي حنيفة ما خرج من الجسد من النجاسات، ولا يراعى المخرج ولا يعد اللمس. وعلى مذهب الشافعي ومحمد ابن عبد الحكم ما خرج من السبيلين، ولا يراعى الاعتياد، ويعد اللمس. وإذا تقرر هذا فاعلم أن المسلمين أجمعوا على أن من زال عقله بإغماء أو جنون أو سكر فعليه الوضوء، واختلفوا

---

(١). الذي في مسلم: ( ... من نحو بئر جمل) كرواية البخاري.
(٢). في ط وز: للمقاربة.." (١)

"تستغفر لي. فنودي من القبر إنه قد غفر لك. ومعنى (لوجدوا الله توابا رحيما) أي قابلا لتوبتهم، وهما مفعولان لا غير.

[سورة النساء (٤): آية ٦٥]

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)

فيه خمس مسائل: الأولى- قال مجاهد وغيره: المراد بهذه الآية من تقدم ذكره ممن أراد التحاكم إلى الطاغوت وفيهم نزلت. وقال الطبري: قوله (فلا) رد على ما تقدم ذكره، تقديره فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، ثم استأنف القسم بقوله: (وربك لا يؤمنون). وقال غيره: إنما قدم (لا) على القسم اهتماما بالنفي وإظهارا لقوته، ثم كرره بعد القسم تأكيدا للتهمم بالنفي، وكان يصح إسقاط (لا) الثانية ويبقى

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٢٢٠

أكثر الاهتمام بتقديم الأولى، وكان يصح إسقاط الأولى ويبقى معنى النفي ويذهب معنى الاهتمام. و (شجر) معناه اختلف واختلط، ومنه الشجر لاختلاف أغصانه. ويقال لعصي الهودج: شجار، لتداخل بعضها في بعض. قال الشاعر:

نفسي فداؤك والرماح شواجر ... والقوم ضنك للقاء قيام

وقال طرفة:

وهم الحكام أرباب الهدى ... وسعاة الناس في الأمر الشجر

وقالت طائفة: نزلت في الزبير مع الأنصاري، وكانت الخصومة في سقي بستان، فقال عليه السلام للزبير: (اسق أرضك ثم أرسل الماء إلى أرض جارك). فقال الخصم: أراك تحابي ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للزبير: (اسق ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر «١») ونزل: (فلا وربك لا يؤمنون). الحديث ثابت صحيح رواه البخاري

---

(١). الجدر: وهو ما رفع حول المزرعة كالجدار.." (١)

"مجرد القول لا يفيد شيئا كما ذكرنا، فإنهم قالوا: طاعة، ولفظوا بها ولم يحقق الله طاعتهم ولا حكم لهم بصحتها، لأنهم لم يعتقدوها. فثبت أنه لا يكون المطيع مطيعا إلا باعتقادها مع وجودها. قوله تعالى: (فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا. أفلا يتدبرون القرآن) قوله تعالى: (فأعرض عنهم) أي لا تخبر بأسمائهم، عن الضحاك، يعني المنافقين. وقيل: لا تعاقبهم. ثم أمره بالتوكل عليه والثقة به في النصر على عدوه. ويقال: إن هذا منسوخ بقوله تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين «١») ثم عاب المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن والتفكر فيه وفي معانيه. تدبرت الشيء فكرت في عاقبته. وفي الحديث (لا تدابروا) أي لا يولي بعضكم بعضا دبره. وأدبر القوم مضى أمرهم إلى آخره. والتدبير أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته. ودلت هذه الآية وقوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها «٢») على وجوب التدبر في القرآن «٣» ليعرف معناه. فكان في **هذا رد على فساد** قول من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب. وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال وإبطال التقليد، وفيه دليل على إثبات القياس. قوله تعالى: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أي تفاوتا وتناقضا، عن ابن عباس وقتادة وابن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٢٦٦

زيد. ولا يدخل في هذا اختلاف ألفاظ القراءات وألفاظ الأمثال والدلالات ومقادير السور والآيات. وإنما أراد اختلاف «٤» التناقض والتفاوت. وقيل: المعنى لو كان ما تخبرون به من عند غير الله لاختلف. وقيل: إنه ليس من متكلم يتكلم كلاما كثيرا إلا وجد في كلامه اختلاف كثير، إما في الوصف «٥» واللفظ، وإما في جودة المعنى، وإما في التناقض، وإما في الكذب. فأنزل الله عز وجل القرآن وأمرهم بتدبره، لأنهم لا يجدون فيه اختلافا في وصف «٦» ولا ردا له في معنى، ولا تناقضا ولا كذبا فيما يخبرون به من الغيوب وما يسرون.

---

(١). راجع ج ٨ ص ٢٠٤.

(٢). راجع ج ١٦ ص ٢٤٥.

(٣). في ط وج: للقرآن.

(٤). كذا في الأصول، والإضافة للبيان وفى ابن عطية: ... وظهر فيه التناقض والتنافي.

(٥). في ج: الرصف. هو الكلام الثابت المحكم.

(٦). في ج: الرصف. هو الكلام الثابت المحكم.." (١)

"إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها، فاختلف فيهم المؤمنون فقائل يقول: هم منافقون، وقائل يقول: هم مؤمنون، فبين الله تعالى نفاقهم وأنزل هذه الآية وأمر بقتلهم. قلت: وهذان القولان يعضدهما سياق آخر الآية من قوله تعالى: (حتى يهاجروا)، والأول أصح نقلا، وهو اختيار البحاري ومسلم والترمذي. و (فئتين) نصب على الحال، كما يقال: مالك قائما؟ عن الأخفش. وقال الكوفيون: هو خبر (فما لكم) كخبر كان وظننت، وأجازوا إدخال الألف واللام فيه وحكى الفراء: (أركسهم، وركسهم) أي ردهم إلى الكفر ونكسهم، وقاله «١» النضر بن شميل والكسائي: والركس والنكس قلب الشيء على رأسه، أو رد أوله على آخره، والمركوس المنكوس. وفي قراءة عبد الله وأبي رضي الله عنهما (والله ركسهم). وقال ابن رواحة:

أركسوا في فتنة مظلمة ... كسواد الليل يتلوها فتن

أي نكسوا. وارتكس فلان في أمر كان نجا منه. والركوسية «٢» قوم بين النصارى والصابئين. والراكس الثور وسط البيدر «٣» والثيران حواليه حين الدياس. (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) أي ترشدوه إلى الثواب بأن يحكم لهم بحكم المؤمنين. (فلن تجد له سبيلا) أي طريقا إلى الهدى والرشد وطلب الحجة. وفي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٢٩٠

**هذا رد على القدرية** وغيرهم القائلين بخلق هداهم وقد تقدم «٤».

[سورة النساء (٤): الآيات ٨٩ الى ٩٠]

ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا (٨٩) إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا (٩٠)

---

(١). كذا في ط وز: وفيها: فالركس إلخ.

(٢). وفى اللسان: الركوسية قوم لهم دين. إلخ.

(٣). البيدر (بوزن حيبر): الموضع الذي يداس فيه الطعام.

(٤). راجع ج ١ ص ١٤٩." (١)

"شر منه ولكنه وعظ القوم ألا يعودوا. وفي سنن ابن ماجه عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم [جيشا «١»] من المسلمين إلى المشركين فقاتلوهم قتالا شديدا، فمنحوهم أكتافهم فحمل رجل من لحمتي على رجل من المشركين بالرمح فلما غشيه قال: أشهد أن لا إله إلا الله، إني مسلم، فطعنه فقتله، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هلكت! قال: (وما الذي صنعت)؟ مرة أو مرتين، فأخبره بالذي صنع. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فهلا شققت عن بطنه فعلمت ما في قلبه) فقال: يا رسول الله لو شققت بطنه أكنت أعلم ما في قلبه؟ قال: (لا فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما في قلبه). فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات فدفناه، فأصبح على وجه الأرض. فقلنا: لعل عدوا نبشه، فدفناه ثم أمرنا غلماننا يحرسونه فأصبح على ظهر الأرض. فقلنا: لعل الغلمان نعسوا، فدفناه ثم حرسناه بأنفسنا فأصبح على ظهر الأرض، فألقيناه في بعض تلك الشعاب. وقيل: إن القاتل أسامة بن زيد والمقتول مرداس ابن نهيك الغطفاني ثم الفزاري من بني مرة من أهل فدك. وقاله ابن القاسم عن مالك. وقيل: كان مرداس هذا قد أسلم من الليلة وأخبر بذلك أهله، ولما عظم النبي صلى الله عليه وسلم الأمر على أسامة حلف عند ذلك ألا يقاتل رجلا يقول: لا إله

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٠٧/٥

إلا الله. وقد تقدم القول فيه. وقيل: القاتل أبو قتادة. وقيل: أبو الدرداء. ولا خلاف أن الذي لفظته الأرض حين مات هو محلم الذي ذكرناه. ولعل هذه الأحوال جرت في زمان متقارب فنزلت الآية في الجميع. وقد روي أن النبي صلى الله عليه **وسلم رد على أهل** المسلم الغنم والجمل وحمل ديته على طريق الائتلاف. والله أعلم. وذكر الثعلبي أن أمير تلك السرية رجل يقال: له غالب بن فضالة الليثي. وقيل: المقداد. حكاه السهيلي. الثانية- قوله تعالى: (فتبينوا) أي تأملوا. و (فتبينوا) قراءة الجماعة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، وقالا: من أمر بالتبين فقد أمر بالتثبت، يقال: تبينت الأمر وتبين الأمر بنفسه، فهو متعد ولازم. وقرأ حمزة (فتثبتوا) من التثبت بالثاء مثلثة وبعدها باء بواحدة.

---

(١). من ج وط وز.." (١)

"وليس في ذلك أن الإيمان هو الإقرار فقط، ألا ترى أن المنافقين كانوا يقولون هذا القول وليسوا بمؤمنين حسب ما تقدم بيانه في (البقرة «١») وقد كشف البيان في هذا قوله عليه السلام: (أفلا شققت عن قلبه)؟ فثبت أن الإيمان هو الإقرار وغيره، وأن حقيقته التصديق بالقلب، ولكن ليس للعبد طريق إليه إلا ما سمع منه فقط. واستدل بهذا أيضا من قال: إن الزنديق تقبل توبته إذا أظهر الإسلام، قال: لأن الله تعالى لم يفرق بين الزنديق وغيره متى أظهر الإسلام. وقد مضى القول في هذا في أول البقرة «٢». **وفيها رد على القدرية**، فإن الله تعالى أخبر أنه من على المؤمنين من بين جميع الخلق بأن خصهم بالتوفيق، والقدرية تقول: خلقهم كلهم للإيمان. ولو كان كما زعموا لما كان لاختصاص المؤمنين بالمنة من بين الخلق معنى. الحادية عشرة- قوله تعالى: (فتبينوا) أعاد الأمر بالتبيين للتأكيد. (إن الله كان بما تعملون خبيرا) تحذير عن مخالفة أمر الله، أي احفظوا أنفسكم وجنبوها الزلل الموبق لكم.

[سورة النساء (٤): الآيات ٩٥ الى ٩٦]

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (٩٥) درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما (٩٦)

فيه خمس مسائل: الأولى- قوله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) قال ابن عباس: لا يستوي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٣٣٧

القاعدون عن بدر والخارجون إليها. ثم قال: (غير أولي الضرر) والضرر الزمانة. روى الأئمة واللفظ لأبي داود عن زيد بن ثابت قال: كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي، فما وجدت ثقل شي

---

(١). راجع ج ١ ص ١٩٣.

(٢). راجع ج ١ ص ١٩٨.." [١]

"الرشد والبيان، وقد تقدم «١». وقوله تعالى: (نوله ما تولى) يقال: إنه نزل فيمن ارتد، والمعنى: نتركه وما يعبد، عن مجاهد. أي نكله إلى الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وقاله مقاتل. وقال الكلبي، نزل قوله تعالى: (نوله ما تولى) في ابن أبيرق، لما ظهرت حاله وسرقته هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا لرجل بمكة يقال له: حجاج بن علاط، فسقط فبقي في النقب حتى وجد على حاله، وأخرجوه من مكة، فخرج إلى الشام فسرق بعض أموال القافلة فرجموه وقتلوه، فنزلت: (نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا). وقرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو (نوله) (ونصله) بجزم الهاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان. الثانية- قال العلماء في قوله تعالى: (ومن يشاقق الرسول) دليل على صحة القول بالإجماع، في قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) رد على الخوارج، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة كافر. وقد تقدم القول في هذا المعنى. وروى الترمذي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [قال]: هذا حديث غريب. قال ابن فورك: وأجمع أصحابنا على أنه لا تخليد إلا للكافر، وأن الفاسق من أهل القبلة إذا مات غير تائب فإنه إن عذب بالنار فلا محالة أنه يخرج منها بشفاعة الرسول، أو بابتداء رحمة من الله تعالى. وقال الضحاك: إن شيخا من الأعراب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا، إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به، فما حالي عند الله؟ فأنزل الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية.

[سورة النساء (٤): آية ١١٧]

إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا (١١٧)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٣٤١

(١). راجع ج ١ ص ١٦٠." (١)

"قوله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) قال ثعلب: إنما سمي الخليل خليلا لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللا إلا ملأته، وأنشد قول بشار:

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبه سمي الخليل خليلا

وخليل فعيل بمعنى فاعل كالعليم بمعنى العالم. وقيل: هو [بمعنى] المفعول كالحبيب بمعنى المحبوب، وإبراهيم كان محبا لله وكان محبوبا [لله «١»]. وقيل: الخليل من الاختصاص فالله عز وجل أعلم اختص إبراهيم في وقته للرسالة. واختار هذا النحاس قال: والدليل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم (وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا) يعني نفسه. وقال صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) أي لو كنت مختصا أحدا بشيء لاختصصت أبا بكر. رضي الله عنه. وفي **هذا رد على من** زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم اختص بعض أصحابه بشيء من الدين. وقيل: الخليل المحتاج، فإبراهيم خليل الله على معنى أنه فقير محتاج إلى الله تعالى، كأنه الذي به الاختلال. وقال زهير يمدح هرم بن سنان:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة ... يقول لا غالب ما لي ولا حرم

أي لا ممنوع. قال الزجاج: ومعنى الخليل: الذي ليس في محبته خلل، فجائز أن يكون سمي خليلا لله بأنه الذي أحبه واصطفاه محبة تامة. وجائز أن يسمى خليل الله أي فقيرا إلى الله تعالى، لأنه لم يجعل فقره ولا فاقته إلا إلى الله تعالى مخلصا في ذلك. والاختلال الفقر، فروي أنه لما رمي بالمنجنيق وصار في الهواء أتاه جبريل عليه السلام فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. فخلة الله تعالى لإبراهيم نصرته إياه. وقيل: سمي بذلك بسبب أنه مضى إلى خليل له بمصر، وقيل: بالموصل ليمتار من عنده طعاما فلم يجد صاحبه، فملأ غرائره رملا وراح به إلى أهله فحطه ونام، ففتحه أهله فوجدوه دقيقا فصنعوا له منه، فلما قدموه إليه قال: من أين لكم هذا؟ قالوا: من الذي جئت به من عند خليلك المصري، فقال: هو من عند خليلي، يعني الله تعالى، فسمي خليل الله بذلك. وقيل: إنه أضاف رؤساء الكفار وأهدى لهم هدايا وأحسن إليهم فقالوا له: ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تسجدوا

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٣٨٦

(١). من ج.." (١)

"[يا رسول «١» الله] أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: (أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام (. وفي رواية (ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر). الإساءة هنا بمعنى الكفر، إذ لا يصح أن يراد بها [هنا «٢»] ارتكاب سيئة، فإنه يلزم عليه ألا يهدم الإسلام ما سبق قبله إلا لمن يعصم من جميع السيئات إلا حين موته، وذلك باطل بالإجماع. ومعنى: (ثم ازدادوا كفرا) أصروا على الكفر. (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم) يرشدهم. (سبيلا) طريقا إلى الجنة. وقيل: لا يخصهم بالتوفيق كما يخص أولياءه. وفي هذه **الآية رد على أهل** القدر، فإن الله تعالى بين أنه لا يهدي الكافرين طريق خير ليعلم العبد أنه إنما ينال الهدى بالله تعالى، ويحرم الهدى بإرادة الله تعالى أيضا. وتضمنت الآية أيضا حكم المرتدين، وقد مضى القول فيهم في (البقرة «٣») عند قوله تعالى: (ومن يرتدد «٤» منكم عن دينه فيمت وهو كافر).

[سورة النساء (٤): آية ١٣٨]

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨)

التبشير الإخبار بما ظهر أثره على البشرة، وقد تقدم بيانه في (البقرة «٥») ومعنى النفاق.

[سورة النساء (٤): آية ١٣٩]

الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩)

قوله تعالى: (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) (الذين) نعت للمنافقين. وفي هذا دليل على أن من عمل معصية من الموحدين ليس بمنافق، لأنه لا يتولى الكفار. وتضمنت المنع من موالاة الكافر، وأن يتخذوا أعوانا على الأعمال المتعلقة بالدين. وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا من المشركين لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم يقاتل معه، فقال له: (ارجع فإنا لا نستعين بمشرك). (العزة) أي الغلبة، عزه يعزه

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥/٤٠٠

(١). الزيادة عن صحيح مسلم وط.

(٢). من ج وط.

(٣). راجع ج ٣ ص ٤٧. [ ..... ]

(٤). بفك الإدغام قراءة نافع. راجع ج ٣ ص ٤٠.

(٥). راجع ج ١ ص ١٩٨، ٢٣٨." (١)

"على أنهما بشران. وقد استدل من قال: إن مريم عليها السلام لم تكن نبية بقوله تعالى:" وأمه صديقة". قلت: وفيه نظر، فإنه يجوز أن تكون صديقة مع كونها نبية كإدريس عليه السلام، وقد مضى في" آل عمران" «١» ما يدل على هذا. والله أعلم. وإنما قيل لها صديقة لكثرة تصديقها بآيات ربها وتصديقها ولدها فيما أخبرها به، عن الحسن وغيره. والله أعلم. قوله تعالى: (انظر كيف نبين لهم الآيات) أي الدلالات. (ثم انظر أنى يؤفكون) أي كيف يصرفون عن الحق بعد هذا البيان، يقال: أفكه يأفكه إذا صرفه. وفي **هذا رد على القدرية** والمعتزلة.

[سورة المائدة (٥): آية ٧٦]

قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم (٧٦)

قوله تعالى: (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) زيادة في البيان وإقامة حجة] عليهم [«٢»، أي أنتم مقرون أن عيسى كان جنينا في بطن أمه، لا يملك لأحد ضرا ولا نفعا وإذ أقررتم أن عيسى كان في حال من الأحوال لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر، فكيف اتخذتموه إلها؟. (والله هو السميع العليم) أي لم يزل سميعا عليما يملك الضر والنفع. ومن كانت هذه صفته فهو الاله على الحقيقة. والله أعلم.

[سورة المائدة (٥): آية ٧٧]

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (٧٧)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤١٦/٥

(١). راجع ج ٤ ص ٨٢ وما بعدها

(٢). من ع وك.." (١)

"الثالثة- قال علماؤنا رحمة الله عليهم في هذه الآية وما شابهها والأحاديث الواردة في **معناها رد على غلاة** المتزهدين، وعلى أهل البطالة من المتصوفين، إذ كل فريق منهم قد عدل عن طريقه، وحاد عن تحقيقه، قال الطبري: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شي مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح إذا خاف على نفسه بإحلال ذلك بها بعض العنت والمشقة، ولذلك رد النبي صلى الله عليه وسلم التبتل على ابن مظعون فثبت أنه لا فضل في ترك شي مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب عباده إليه، وعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنه لأمته، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون، إذ كان خير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا كان كذلك تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان إذا قدر على لباس ذلك من حله، وآثر أكل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره حذرا من عارض الحاجة إلى النساء. قال الطبري: فإن ظن ظان أن الخير «١» في غير الذي قلنا لما في لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس وصرف ما فضل بينهما من القيمة إلى أهل الحاجة فقد ظن خطأ، وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها، ولا شي أضر للجسم من المطاعم الرديئة لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سببا إلى طاعته. وقد جاء رجل إلى الحسن البصري، فقال: إن لي جارا لا يأكل الفالوذج فقال: ولم؟ قال: يقول لا يؤدي شكره، فقال الحسن: أفيشرب الماء البارد؟ فقال: نعم. فقال: إن جارك جاهل، فإن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذج. قال ابن العربي قال علماؤنا: هذا إذا كان الدين قواما، ولم يكن المال حراما، فأما إذا فسد الدين عند الناس وعم الحرام فالتبتل أفضل، وترك اللذات أولى، وإذا وجد الحلال فحال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل وأعلى. قال المهلب: إنما نهى صلى الله عليه وسلم عن التبتل والترهب من أجل أنه مكاثر بأمته الأمم يوم القيامة، وأنه في الدنيا مقاتل بهم طوائف الكفار، وفي آخر الزمان يقاتلون الدجال، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكثر النسل.

---

(١). في ج وك: الفضل.." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٥١/٦

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٢/٦

"[سورة المائدة (٥): آية ٩٨]

اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم (٩٨)

قوله تعالى: (اعلموا أن الله شديد العقاب) تخويف (وأن الله غفور رحيم) ترجية. وقد تقدم هذا المعنى.

[سورة المائدة (٥): آية ٩٩]

ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٩٩)

قوله تعالى: (ما على الرسول إلا البلاغ) أي ليس له الهداية والتوفيق ولا الثواب، وإنما عليه البلاغ وفي **هذا رد على القدرية** كما تقدم. وأصله البلاغ البلوغ، وهو الوصول. بلغ يبلغ بلوغا، وأبلغه إبلاغا، وتبلغ تبلغا، وبالغه مبالغة، وبلغه تبليغا، ومنه البلاغة، لأنها إيصال المعنى إلى النفس في حسن صورة من اللفظ. وتبالغ الرجل إذا تعاطى البلاغة وليس ببليغ، وفي هذا بلاغ أي كفاية، لأنه يبلغ مقدار الحاجة. (والله يعلم ما تبدون) أي تظهرونه، يقال: بدا السر وأبداه صاحبه يبديه. (وما تكتمون) أي ما تسرونه وتخفونه في قلوبكم م ن الكفر والنفاق.

[سورة المائدة (٥): آية ١٠٠]

قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون (١٠٠)

قوله تعالى: (قل لا يستوي الخبيث والطيب). فيه ثلاث مسائل: الأولى: قال الحسن:" الخبيث والطيب" الحلال والحرام. وقال السدي: المؤمن والكافر. وقيل: المطيع والعاصي. وقيل: الرديء والجيد، وهذا على ضرب المثال. والصحيح أن اللفظ عام في جميع الأمور، يتصور في المكاسب والأعمال، والناس، والمعارف من العلوم وغيرها، فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب، ولا تحسن له عاقبة وإن كثر، والطيب وإن قل نافع «١» جميل العاقبة. قال الله تعالى:" والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

---

(١). في ج: نافع حميد جميل. إلخ.." (١)

"يتوقعون عذاب الحشر. وقيل:" يخافون" يعلمون، فإن كان مسلما أنذر ليترك المعاصي، وإن كان من أهل الكتاب أنذر ليتبع الحق. وقال الحسن: المراد المؤمنون. قال الزجاج: كل من أقر بالبعث من مؤمن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦/٣٢٧

وكافر. وقيل: الآية في المشركين أي أنذرهم بيوم القيامة. والأول أظهر. (ليس لهم من دونه) أي من غير الله (شفيع) **هذا رد على اليهود** والنصارى في زعمهما أن أباهما يشفع لهما حيث قالوا:" نحن أبناء الله وأحباؤه"] المائدة: ١٨] والمشركون حيث جعلوا أصنامهم شفعاء لهم عند الله، فأعلم الله أن الشفاعة لا تكون للكفار. ومن قال الآية في المؤمنين قال: شفاعة الرسول لهم تكون بإذن الله فهو الشفيع حقيقة إذن، وفي التنزيل:" ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " «١»] الأنبياء: ٢٨]." ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له" «٢»] سبأ: ٢٣]." من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" «٣»] البقرة: ٢٥٥]. (لعلهم يتقون) أي في المستقبل وهو الثبات على الايمان.

[سورة الأنعام (٦): آية ٥٢]

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين (٥٢)

قوله تعالى:" ولا تطرد الذين يدعون ربهم" الآية [«٤». قال المشركون: ولا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء- يعنون سلمان وصهيبا وبلالا وخبابا «٥» - فاطردهم عنك، وطلبوا أن يكتب لهم بذلك، فهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، ودعا عليا ليكتب، فقام الفقراء وجلسوا ناحية، فأنزل الله الآية. ولهذا أشار سعد بقوله في الحديث الصحيح: فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع، وسيأتي ذكره. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إنما مال إلى ذلك طمعا في إسلامهم، وإسلام قومهم، ورأى أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئا، ولا ينقص لهم قدرا، فمال إليه فأنزل الله الآية، فنهاه عما هم به من الطرد لا أنه أوقع الطرد. روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي صلى الله

---

(١). راجع ج ١١ ص ٢٨١.

(٢). راجع ج ١٤ ص ٢٩٥. [ ..... ]

(٣). راجع ج ٣ ص ٢٧٣.

(٤). من ج، ب، ك.

(٥). في ب وع وك وج وه: حسان.." (١)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤٣١/٦

"" يطوفون بينها وبين حميم آن" «١». والآية منسوخة بآية القتال. وقيل: ليست بمنسوخة، لأن قوله:" وذر الذين اتخذوا دينهم" تهديد، كقول:" ذرهم يأكلوا ويتمتعوا" «٢» ومعناه لا تحزن عليهم، فإنما عليك التبليغ والتذكير بإبسال النفوس. فمن أبسل فقد أسلم وارتهن. وقيل: أصله التحريم، من قولهم: هذا بسل عليك أي حرام، فكأنهم حرموا الجنة وحرمت عليهم الجنة. قال الشاعر «٣»:

أجارتكم بسل علينا محرم ... وجارتنا حل لكم وحليلها

والإبسال: التحريم. والإبسال: التحريم.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٧١ الى ٧٣]

قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين (٧١) وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون (٧٢) وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير (٧٣)

قوله تعالى: (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا) أي ما لا ينفعنا إن دعونا «٤». (ولا يضرنا) إن تركناه، يريد الأصنام. (ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) أي نرجع إلى الضلالة بعد الهدى. وواحد الأعقاب عقب وهو مؤنث، وتصغيره عقيبة. يقال: رجع فلان على عقبيه، إذا أدبر. قال أبو عبيدة: يقال لمن رد عن حاجته ولم يظفر بها: **قد رد على عقبيه**. وقال المبرد: معناه تعقب بالشر بعد الخير. وأصله من العاقبة والعقبى وهما ما كان

---

(١). راجع ج ١٧ ص ١٧٥.

(٢). راجع ج ١٠ ص ٢.

(٣). هو الأعشى ميمون.

(٤). في ك: رجونا.." (١)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٧/٧

"الكفر، وهو كقوله:" كذلك يضل الله من يشاء ويهدي «١» من يشاء". وفي **هذا رد على القدرية**.

[سورة الأنعام (٦): آية ١٠٩]

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (١٠٩)

قوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى:" وأقسموا" أي حلفوا. وجهد اليمين أشدها، وهو بالله فقوله:" جهد أيمانهم" أي غاية أيمانهم التي بلغها علمهم، وانتهت إليها قدرتهم. وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم، وأن هذه الآلهة إنما يعبدونها ظنا منهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، كما أخبر عنهم بقوله تعالى:" ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى «٢» ". وكانوا يحلفون بآبائهم وبالأصنام وبغير ذلك، وكانوا يحلفون بالله تعالى وكانوا يسمونه جهد اليمين إذا كانت اليمين بالله." جهد" منصوب على المصدر والعامل فيه" أقسموا" على مذهب سيبويه، لأنه في معناه. والجهد (بفتح الجيم): المشقة يقال: فعلت ذلك بجهد. والجهد (بضمها): الطاقة يقال: هذا جهدي، أي طاقتي. ومنهم من يجعلهما واحدا، ويحتج بقول" والذين لا يجدون إلا جهدهم «٣» ". وقرى" جهدهم" بالفتح، عن ابن قتيبة. وسبب الآية فيما ذكر المفسرون: القرظي والكلبي وغيرهما، أن قريشا قالت: يا محمد، تخبرنا بأن موسى ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة، فائتنا ببعض هذه الآيات حتى نصدقك. فقال: (أي شي تحبون)؟ قالوا: اجعل لنا الصفا ذهبا، فوالله إن فعلته لنتبعنك أجمعون. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام فقال: (إن شئت أصبح (الصفا «٤» ذهبا، ولين أرسل الله آية ولم يصدقوا عندها ليعذبنهم فاتركهم حتى يتوب تائبهم) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١). راجع ج ١٠ ص ١٧٢.

(٢). راجع ج ١٥ ص ١٢٣.

(٣). راجع ج ٨ ص ٢١٥.

(٤). من ك. [ ..... ]." (١)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٢/٧

"قوله تعالى: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) أي يوسعه له، ويوفقه ويزين عنده ثوابه. ويقال: شرح شق، وأصله التوسعة. وشرح الله صدره وسعه بالبيان لذلك. وشرحت الأمر: بنته وأوضحته. وكانت قريش تشرح النساء شرحا، وهو مما تقدم: من التوسعة والبسط، وهو وطء المرأة مستلقية على قفاها. فالشرح: الكشف، تقول: شرحت الغامض، ومنه تشريح اللحم. قال الراجز:

كم قد أكلت كبدا وإنفحه ... ثم ادخرت إليه مشرحه

والقطعة منه شريحة. وكل سمين من اللحم ممتد فهو شريحة. (ومن يرد أن يضله) يغويه (يجعل صدره ضيقا حرجا) **وهذا رد على القدرية**. ونظير هذه الآية من السنة قوله عليه السلام: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) أخرجه الصحيحان. ولا يكون ذلك إلا بشرح الصدر وتنويره. والدين العبادات، كما قال:" إن الدين عند الله الإسلام «١» " ودليل خطابه أن من لم يرد الله به خيرا ضيق صدره، وأبعد فهمه فلم يفقهه. والله أعلم. وروي أن عبد الله بن مسعود قال: يا رسول الله، وهل ينشرح الصدر؟ فقال: (نعم يدخل القلب نور) فقال: وهل لذلك من علامة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت). وقرأ ابن كثير" ضيقا" بالتخفيف، مثل «٢» هين ولين لغتان. ونافع وأبو بكر" حرجا" بالكسر، ومعناه الضيق. كرر «٣» المعنى، وحسن ذلك لاختلاف اللفظ. والباقون بالفتح. جمع حرجة، وهو شدة الضيق أيضا، والحرجة الغيضة «٤»، والجمع حرج وحرجات. ومنه فلان يتحرج أي يضيق على نفسه في تركه هواه للمعاصي، قال الهروي. وقال ابن عباس: الحرج موضع الشجر الملتف، فكأن قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف شجره. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا المعنى، ذكره مكي والثعلبي وغيرهما. وكل ضيق حرج. قال الجوهري: مكان حرج وحرج أي ضيق كثير الشجر لا تصل إليه

---

(١). راجع ج ٤ ص ٤٣.

(٢). في ك: عين.

(٣). الأولى أن يكون حرجا: المتزايد في الضيق فيكون أخص من الأول.

(٤). الشجر الملتف.." (١)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٨١/٧

"اللام لام كي. والإرداء الإهلاك. (وليلبسوا عليهم دينهم) الذي ارتضى لهم. أي يأمرونهم بالباطل ويشككونهم في دينهم. وكانوا على دين إسماعيل، وما كان فيه «١» قتل الولد، فيصير الحق مغطى عليه، فبهذا يلبسون. (ولو شاء الله ما فعلوه) بين (تعالى) ١ (أن كفرهم بمشيئة الله. **وهو رد على القدرية**.) فذرهم وما يفترون) يريد قولهم إن لله شركاء.

[سورة الأنعام (٦): آية ١٣٨]

وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون (١٣٨)

ذكر (تعالى) نوعا آخر جهالتهم. وقرأ أبان بن عثمان" حجر" بضم الحاء والجيم. وقرأ الحسن وقتادة" حجر" بفتح الحاء وإسكان الجيم، لغتان بمعنى. وعن الحسن أيضا" حجر" بضم الحاء. قال أبو عبيد عن هارون قال: كان الحسن يضم الحاء في" حجر" في جميع القرآن إلا في قوله:" برزخا وحجرا محجورا «٢» " فإنه كان يكسرها ها هنا. وروي عن ابن عباس وابن الزبير" وحرث حرج" الراء قبل الجيم، وكذا في مصحف أبي، وفيه قولان: أحدهما أنه مثل جبذ وجذب. والقول الآخر- وهو أصح- أنه من الحرج، فإن الحرج (بكسر الحاء) لغة في الحرج (بفتح الحاء) وهو الضيق والإثم، فيكون معناه الحرام. ومنفلان يتحرج أي يضيق على نفسه الدخول فيما يشتبه عليه من الحرام. والحجر: لفظ مشترك. وهو هنا بمعنى الحرام، وأصله المنع. وسمي العقل حجرا لمنعه عن القبائح. وفلان في حجر القاضي أي منعه. حجرت على الصبي حجرا. والحجر العقل، قال الله تعالى:" هل في ذلك قسم لذي حجر «٣» " والحجر الفرس الأنثى. والحجر القرابة. قال:

يريدون أن يقصوه عني وإنه ... لذو حسب دان إلي وذو حجر

وحجر الإنسان وحجره لغتان، والفتح أكثر. أي حرموا أنعاما وحرثا وجعلوها لأصنامهم وقالوا: (لا يطعمها إلا من نشاء) وهم خدام الأصنام. ثم بين أن هذا تحكم لم يرد به

---

(١). في ك: فيهم.

(٢). راجع ج ١٣ ص ٥٨.

(٣). راجع ج ٢٠ ص ٤٢.." [(١)]

"[سورة الأعراف (٧): آية ٤٣]

ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (٤٣)

ذكر الله عز وجل فيما ينعم به على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم. والنزع: الاستخراج والغل: الحقد الكامن في الصدر. والجمع غلال. أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الغل على باب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين). وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم:" ونزعنا ما في صدورهم من غل". وقيل: نزع الغل في الجنة ألا يحسد بعضهم بعضا في تفاضل منازلهم. وقد قيل: إن ذلك يكون عن شراب الجنة، ولهذا قال:" وسقاهم ربهم شرابا طهورا «١» " أي يطهر الأوضار من الصدور، على ما يأتي بيانه في سورة" الإنسان" و" الزمر «٢» " إن شاء الله تعالى. (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) (أي لهذا «٣») الثواب، بأن أرشدنا وخلق لنا الهداية. **وهذا رد على القدرية**. (وما كنا) قراءة ابن عامر بإسقاط الواو. والباقون بإثباتها. (لنهتدي) لام كي. (لولا أن هدانا الله) في موضع رفع. (ونودوا) أصله. نوديوا (أن) في موضع نصب مخففة من الثقيلة، أي بأنه (تلكم الجنة). وقد تكون تفسيرا لما نودوا به، لأن النداء قول، فلا يكون لها موضع. أي قيل لهم:" تلكم الجنة" لأنهم وعدوا بها في الدنيا، أي قيل لهم: هذه تلكم الجنة التي وعدتم بها، أو يقال ذلك قبل الدخول حين عاينوها من بعد. وقيل:" تلكم" بمعنى هذه. ومعنى (أورثتموها بما كنتم تعملون) أي ورثتم منازلها بعملكم، ودخولكم إياها برحمة الله وفضله. كما قال:" ذلك الفضل من الله «٤» ".

---

(١). راجع ج ١٩ ص ١٤١.

(٢). راجع ج ١٥ ص ٢٨٤.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩٤/٧

(٣). من ع.

(٤). راجع ج ٥ ص ٢٧١.." (١)

"" فإنا قد فتنا قومك من بعدك «١» ٢٠: ٨٥". فلما رجع إلى قومه ورأى العجل منصوبا للعبادة وله خوار قال (إن هي إلا فتنتك تضل بها) أي بالفتنة. (من تشاء وتهدي من تشاء) **وهذا رد على القدرية**.

[سورة الأعراف (٧): آية ١٥٦]

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون (١٥٦)

قوله تعالى: (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) أي وفقنا للأعمال الصالحة التي تكتب لنا بها الحسنات. (وفي الآخرة) ٢٠ أي جزاء عليها. (إنا هدنا إليك) أي تبنا، قاله مجاهد وأبو العالية وقتادة. والهود: التوبة، وقد تقدم في البقرة «٢». قوله تعالى: (قال عذابي أصيب به من أشاء) أي المستحقين له، أي هذه الرجفة والصاعقة عذاب مني أصيب به من أشاء. وقيل: المعنى" من أشاء" أي من أشاء أن أضله. قوله تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء) عموم، أي لا نهاية لها أي من دخل فيها لم تعجز عنه. وقيل: وسعت كل شي من الخلق حتى إن البهيمة لها رحمة وعطف على ولدها. قال بعض المفسرين: طمع في هذه الآية كل شي حتى إبليس فقال: أنا شي، فقال الله تعالى: (فسأكتبها للذين يتقون) فقالت اليهود والنصارى: نحن متقون، فقال الله تعالى:" الذين يتبعون الرسول النبي الأمي" الآية. فخرجت الآية عن العموم، والحمد لله. روى حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كتبها الله عز وجل لهذه الأمة.

---

(١). راجع ج ١١ ص ٢٣٢.

(٢). راجع ج ١ ص ٤٢٣.." (٢)

"والله أحق أن يخشاه، ولا يتكبر على أحد من عباد الله، فإنه مؤلف من أقذار، مشحون من أوضار «١»، صائر إلى جنة إن أطاع أو إلى نار. وقال ابن العربي: وكان شيوخنا يستحبون أن ينظر المرء في

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٠٨/٧

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٩٦/٧

الأبيات الحكمية التي جمعت هذه الأوصاف العلمية:

كيف يزهو من رجيعه «٢» ... أبد الدهر ضجيعه

فهو منه وإليه ... وأخوه ورضيعه

وهو يدعوه إلى الحش ... «٣» بصغر فيعطيه

قوله تعالى: (وما خلق الله من شيء) معطوف على ما قبله، أي وفيما خلق الله من الأشياء. (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أي وفي آجالهم التي عسى أن تكون قد قربت، فهو في موضع خفض معطوف على ما قبله. وقال ابن عباس: أراد باقتراب الأجل يوم بدر ويوم أحد. (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي بأي قرآن غير ما جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم «٤») يصدقون. وقيل: الهاء للأجل، على معنى بأي حديث بعد الأجل يؤمنون حين لا ينفع الإيمان، لأن الآخرة ليست بدار تكليف.

[سورة الأعراف (٧): آية ١٨٦]

من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون (١٨٦)

بين أن إعراضهم لأن الله أضلهم. **وهذا رد على القدرية**. (ويذرهم في طغيانهم) بالرفع على الاستئناف. وقرى بالجزم حملا على موضع الفاء وما بعدها. (يعمهون) أي يتحيرون. وقيل: يترددون. وقد مضى في أول البقرة «٥» مستوفى.

---

(١). الزيادة عن ابن العربي. والأوضار: الأوساخ.

(٢). الرجيع: العذرة والروث.

(٣). الحش بالتثليث: النخل المجتمع، ويكنى به عن بيت الخلاء، لما كان من عادتهم التغوط في البساتين. في ع: بعلم. وفى ى: بحصر.

(٤). من ع.

(٥). راجع ج ١ ص ٢٠٩.." (١)

"بالسيف بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك نزلت:" سأل سائل بعذاب واقع «١» ٧٠: ١" وقال الأخفش: إن" إن" زائدة. قال النحاس: لو كان كما قال لرفع" يعذبهم"." ولكن أكثرهم لا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧/٣٣٤

يعلمون" أي إن المتقين أولياؤه.

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٣٥ الى ٣٧]

وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٥) إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون (٣٦) ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون (٣٧)

قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت عراة، يصفقون ويصفرون، فكان ذلك عبادة في ظنهم والمكاء: الصفير. والتصدية: التصفيق، قاله مجاهد والسدي وابن عمر رضي الله عنهم. ومنه قول عنترة:

وحليل غانية تركت مجدلا ... تمكو فريصته كشدق الأعلم «٢»

أي تصوت. ومنه مكت است الدابة إذا نفخت بالريح. قال السدي: المكاء الصفير، على لحن «٣» طائر أبيض بالحجاز يقال له المكاء. قال الشاعر:

إذا غرد المكاء في غير روضة ... فويل لأهل الشاء والحمرات

قتادة: المكاء ضرب بالأيدي، والتصدية صياح. وعلى التفسيرين **ففيه رد على الجهال** من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون (ويصعقون «٤»). وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت. وروى ابن جريج وابن أبي نجيح عن مجاهد أنه

---

(١). راجع ج ١٨ ص ٢٧٨.

(٢). الحليل: الزوج. ويروى: وخليل بالخاء المعجمة. الفريصة: الموضع الذي يرعد من الدابة والإنسان إذا خاف. والأعلم: المشقوق الشفة العليا.

(٣). من ج وهـ وك وز وى. وفى ب: نحو.

(٤). من ب وج وهـ وز ك وى. [ ..... ]." (١)

"فقال له الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله فقال إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت فقال وأتى الأقرع في صورته

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧/٤٠٠

فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل **ما رد على هذا** فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت قال وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك (. وفي هذا أدل دليل على أن من ادعى زيادة على فقره من عيال أو غيره لا يكشف عنه خلافا لمن قال يكشف عنه إن قدر، فإن في الحديث (فقال رجل مسكين وابن سبيل أسألك شاة) ولم يكلفه إثبات السفر. فأما المكاتب فإنه يكلف إثبات الكتابة لأن الرق هو الأصل حتى تثبت الحرية. الخامسة والعشرون- ولا يجوز أن يعطي من الزكاة من تلزمه نفقته وهم الوالدان والولد والزوجة. وإن أعطى الإمام صدقة الرجل لولده ووالده وزوجته جاز. وأما أن يتناول ذلك هو نفسه فلا، لأنه يسقط بها عن نفسه فرضا. قال أبو حنيفة: ولا يعطي منها ولد ابنه ولا ولد ابنته، ولا يعطي منها مكاتبه ولا مدبره ولا أم ولده ولا عبدا أعتق نصفه، لأنه مأمور بالإيتاء والإخراج إلى الله تعالى بواسطة كف الفقير، ومنافع الأملاك مشتركة بينه وبين هؤلاء، ولهذا لا تقبل شهادة بعضهم لبعض. قال: والمكاتب عبد ما بقي عليه در هم وربما يعجز فيصير الكسب له. ومعتق البعض عند أبي حنيفة بمنزلة المكاتب. وعند صاحبيه أبي يوسف ومحمد بمنزلة حر عليه دين فيجوز أداؤها إليه. السادسة والعشرون- فإن أعطاها لمن لا تلزمه نفقتهم فقد اختلف فيه، فمنهم من جوزه ومنهم من كرهه. قال مالك: خوف المحمدة. وحكى مطرف أنه قال: رأيت مالكا يعطي زكاته لأقاربه. وقال الواقدي قال مالك: أفضل من وضعت فيه زكاتك." (١)

"أي ما كان الله ليوقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يبين لهم ما يتقون فلا يتقوه فعند ذلك يستحقون الإضلال. قلت: ففي هذا أدل دليل على أن المعاصي إذا ارتكبت وانتهك حجابها كانت سببا إلى الضلالة والردى وسلما إلى ترك الرشاد والهدى. نسأل الله السداد والتوفيق والرشاد بمنه. وقال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله في قوله:" حتى يبين لهم" أي حتى يحتج عليهم بأمره، كما قال:" وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها
" «١» [الاسراء: ١٦] وقال مجاهد:" حتى يبين لهم" أي أمر إبراهيم ألا يستغفروا للمشركين خاصة ويبين لهم الطاعة والمعصية عامة. وروي أنه لما نزل تحريم الخمر وشدد فيها سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عمن مات وهو يشربها فأنزل الله تعالى:" وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون"

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٨/١٨٩

وهذه **الآية رد على المعتزلة** وغير هم الذين يقولون بخلق هدا هم وأيما نهم كما تقدم «٢». قوله تعالى: (إن الله بكل شيء عليم. إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) تقدم معناه غير مرة «٣».

[سورة التوبة (٩): آية ١١٧]

لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤف رحيم (١١٧)

روى الترمذي: حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: لم أتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة غزا ها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدرا ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا تخلف عن بدر إنما خرج يريد العير فخرجت قريش مغوثين لعيرهم فالتقوا عن غير موعد «٤»

---

(١). راجع ج ١٠ ص ٢٣٢.

(٢). راجع ج ١ ص ١٤٩، ١٨٦.

(٣). راجع ج ١ ص ٢٤٩، ٢٦١. وج ٢ ص ٦٩. [.....]

(٤). في ج وع وه: على غير وعد. وفي ك وى: من غير وعد.." (١)

"قوله تعالى: (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) تقدم في الأعراف «١». (يدبر الأمر) قال مجاهد: يقضيه ويقدره وحده. ابن عباس: لا يشركه في تدبير خلقه أحد. وقيل: يبعث بالأمر. وقيل: ينزل به. وقيل: يأمر به ويمضيه، والمعنى متقارب. فجبريل للوحي، وميكائيل للقطر، وإسرافيل للصور، وعزرائيل للقبض. وحقيقته تنزيل الأمور في مراتبها على أحكام عواقبها، واشتقاقه من الدبر. والأمر اسم لجنس الأمور. (ما من شفيع) في موضع رفع، والمعنى ما شفيع (إلا من بعد إذنه) وقد تقدم في" البقرة" «٢» معنى الشفاعة. فلا يشفع أحد نبي ولا غيره إلا بإذنه سبحانه، **وهذا رد على الكفار** في قولهم فيما عبدوه من دون الله:" هؤلاء شفعاؤنا عند الله" «٣» [يونس: ١٨] فأعلمهم الله أن أحدا لا يشفع لأحد إلا بإذنه، فكيف بشفاعة أصنام لا تعقل. قوله تعالى: (ذلكم الله ربكم فاعبدوه)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٧٧/٨

أي ذلكم الذي فعل هذه الأشياء من خلق السموات والأرض هو ربكم لا رب لكم غيره." فاعبدوه" أي وحدوه وأخلصوا له العبادة. (أفلا تذكرون) أي أنها مخلوقاته فتستدلوا بها عليه.

[سورة يونس (١٠): آية ٤]

إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون (٤)

قوله تعالى: (إليه مرجعكم) رفع بالابتداء." جميعا" نصب على الحال. ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى أجزائه. (وعد الله حقا) مصدران، أي وعد الله ذلك وعدا وحققه" حقا" صدقا لا خلف فيه. وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة" وعد الله حق" على الاستئناف.

---

(١). راجع ج ٧ ص ٢١٨.

(٢). راجع ج ٣ ص ٢٧٣. [ ..... ]

(٣). راجع ص ٣٢١ من هذا الجزء.." (١)

"قوله تعالى: (قل هذه سبيلي) ابتداء وخبر، أي قل يا محمد هذه طريقي وسنتي ومنهاجي، قاله ابن زيد. وقال الربيع: دعوتي، مقاتل: ديني، والمعنى واحد، أي الذي أنا عليه وأدعو إليه يؤدي إلى الجنة. (على بصيرة) أي على يقين وحق، ومنه: فلان مستبصر بهذا. (أنا) توكيد. (ومن اتبعني) عطف على المضمر. (وسبحان الله) أي قل يا محمد:" وسبحان الله". (وما أنا من المشركين) الذين يتخذون من دون الله أندادا.

[سورة يوسف (١٢): الآيات ١٠٩ الى ١١٠]

وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون (١٠٩) حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين (١١٠)

قوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي «١» إليهم من أهل القرى) **هذا رد على القائلين**:" لولا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٠٨/٨

أنزل عليه ملك" «٢» [الأنعام: ٨] أي أرسلنا رجالا ليس فيهم امرأة ولا جني ولا ملك، وهذا يرد ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إن في النساء أربع نبيات حواء وآسية وأم موسى ومريم". وقد تقدم في" آل عمران" «٣» شي من هذا." من أهل القرى " يريد المدائن، ولم يبعث الله نبيا من أهل البادية لغلبة الجفاء والقسوة على أهل البدو، ولأن أهل الأمصار أعقل وأحلم وأفضل وأعلم. قال الحسن: لم يبعث الله نبيا من أهل البادية قط، ولا من النساء، ولا من الجن. وقال قتادة:" من أهل القرى " أي من أهل الأمصار، لأنهم أعلم وأحلم. وقال العلماء: من شرط الرسول أن يكون رجلا آدميا مدنيا، وإنما قالوا آدميا تحرزا، من قوله:" يعوذون برجال من الجن" «٤» [الجن: ٦] والله أعلم.

---

(١). وقراءة نافع والجمهور: يوحى. بالبناء للمجهول.

(٢). راجع ج ٦ ص ٣٩٣.

(٣). راجع ج ٤ ص ٨٢ فما بعد. وج ٦ ص ٢٥١.

(٤). راجع ج ١٩ ص ٨ فما بعد.." [1]

"[سورة الرعد (١٣): آية ٣]

وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٣)

قوله تعالى: (وهو الذي مد الأرض) لما بين آيات السماوات بين آيات الأرض، أي بسط الأرض طولا وعرضا. (وجعل فيها رواسي) أي جبالا ثوابت، واحدها راسية، لأن الأرض ترسو بها، أي تثبت، والإرساء الثبوت، قال عنترة:

فصبرت عارفة لذلك حرة ... ترسوا إذا نفس الجبان تطلع «١»

وقال جميل:

أحبها والذي أرسى قواعده ... حبا إذا ظهرت آياته بطنا

وقال ابن عباس وعطاء: أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس «٢». مسألة: في هذه **الآية رد على من** زعم أن الأرض كالكرة، ورد على من زعم أن الأرض تهوي أبوابها عليها، وزعم ابن الراوندي أن تحت الأرض جسما صعادا كالريح الصعادة، وهي منحدرة فاعتدل الهاوي والصعادي في الجرم والقوة فتوافقا. وزعم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٢٧٤

آخرون أن الأرض مركب من جسمين، أحدهما منحدر، والآخر مصعد، فاعتدلا، فلذلك وقفت. والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القول بوقوف الأرض وسكونها ومدها، وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها. وقوله تعالى: (وأنهارا) أي مياها جارية في الأرض، فيها منافع الخلق. (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) بمعنى صنفين. قال أبو عبيدة: الزوج واحد، ويكون اثنين. الفراء: يعني بالزوجين هاهنا الذكر والأنثى، وهذا خلاف

---

(١). قبل البيت:

وعرفت أن منيتي إن تأتني ... لا ينجني منها الفرار الأسرع

(٢). أبو قبيس: جبل مشرف على مسجد مكة.." (١)

"خلقه فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون خلق الله من خلق آلهتهم. (قل الله خالق كل شيء) أي قل لهم يا محمد:" الله خالق كل شيء"، فلزم لذلك أن يعبده كل شي. **والآية رد على المشركين** والقدرية الذين زعموا أنهم خلقوا كما خلق الله. (وهو الواحد) قبل كل شيء." القهار" الغالب لكل شي، الذي يغلب في مراده كل مريد. قال القشيري أبو نصر: ولا يبعد أن تكون الآية واردة فيمن لا يعترف بالصانع، أي سلهم عن خالق السماوات والأرض، فإنه يسهل تقرير الحجة فيه عليهم، ويقرب الأمر من الضرورة، فإن عجز الجماد وعجز كل مخلوق عن خلق السماوات والأرض معلوم، وإذا تقرر هذا وبان أن الصانع هو الله فكيف يجوز اعتداد الشريك له؟! وبين في أثناء الكلام أنه لو كان للعالم صانعان لاشتبه الخلق، ولم يتميز فعل هذا عن فعل ذلك، فبم يعلم أن الفعل من اثنين؟!.

[سورة الرعد (١٣): الآيات ١٧ الى ١٩]

أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال (١٧) للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد (١٨) أفمن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٢٨٠

يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب (١٩)
قوله تعالى: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا) ضرب مثلا للحق والباطل، فشبه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء، فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية، وتدفعه الرياح، فكذلك يذهب الكفر ويضمحل، على ما نبينه. قال مجاهد:." (١)

"إذا كان معناه صفة كان تقدير الكلام: صفة الجنة التي فيها أنهار، وذلك غير مستقيم، لأن الأنهار في الجنة نفسها لا صفتها. وقال الزجاج: مثل الله عز وجل لنا ما غاب عنا بما نراه، والمعنى: مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار، وأنكره أبو علي فقال: لا يخلو المثل على قوله أن يكون الصفة أو الشبه، وفي كلا الوجهين لا يصح ما قاله، لأنه إذا كان بمعنى الصفة لم يصح، لأنك إذا قلت: صفة الجنة جنة، فجعلت الجنة خبرا لم يستقم ذلك، لأن الجنة لا تكون الصفة، وكذلك أيضا شبه الجنة جنة، ألا ترى أن الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين، وهو حدث، والجنة غير حدث، فلا يكون الأول الثاني. وقال الفراء: المثل مقحم للتأكيد، والمعنى: الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار، والعرب تفعل ذلك كثيرا بالمثل، كقوله:" ليس كمثله شيء" «١» [الشورى: ١١]: أي ليس هو كشيء «٢». وقيل التقدير: صفة الجنة التي وعد المتقون صفة جنة" تجري من تحتها الأنهار". وقيل معناه: شبه الجنة التي وعد المتقون في الحسن والنعمة والخلود كشبه النار في العذاب والشدة والخلود، قاله مقاتل. (أكلها دائم) لا ينقطع، وفي الخبر:" إذا أخذت ثمرة عادت مكانها أخرى" وقد بيناه في" التذكرة". (وظلها) أي وظلها كذلك، فحذف، أي ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول، **وهذا رد على الجهمية** في زعمهم أن نعيم الجنة يزول ويفنى. (تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) أي عاقبة أمر المكذبين وآخرتهم النار يدخلونها.

[سورة الرعد (١٣): آية ٣٦]
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب (٣٦)
قوله تعالى: (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) أي بعض من أوتي الكتاب يفرح بالقرآن، كابن سلام وسلمان، والذين جاءوا من الحبشة، فاللفظ عام، والمراد الخصوص. وقال قتادة: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يفرحون بنور القرآن، وقاله مجاهد

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٣٠٤

(١). راجع ج ١٦ ص ٨.

(٢). في ى: ليس كهو سيئ.." (١)

"البقاء في نعيمها على النعيم في الآخرة، وصد عن سبيل الله- أي صرف الناس عنه وهو دين الله، الذي جاءت به الرسل، في قول ابن عباس وغيره- فهو داخل في هذه الآية، وقد قال صلى الله عليه وسلم:" إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون" وهو حديث صحيح. وما أكثر ما هم في هذه الأزمان، والله المستعان. وقيل:" يستحبون" أي يلتمسون الدنيا من غير وجهها، لأن نعمة الله لا تلتمس إلا بطاعته دون معصيته. (ويبغونها عوجا) أي يطلبون لها زيغا وميلا لموافقة أهوائهم، وقضاء حاجاتهم وأغراضهم. والسبيل تذكر وتؤنث. والعوج بكسر العين في الدين والأمر والأرضي، وفي كل ما لم يكن قائما، وبفتح العين في كل ما كان قائما، كالحائط والرمح ونحوه، وقد تقدم في" آل عمران" «١» وغيرها. (أولئك في ضلال بعيد) أي ذهاب عن الحق بعيد عنه.

[سورة إبراهيم (١٤): آية ٤]

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم (٤)

قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول) أي قبلك يا محمد (إلا بلسان قومه) أي بلغتهم، ليبينوا لهم أمر دينهم، ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ترجمة يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى:" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا" «٢» [سبأ: ٢٨]. وقال صلى الله عليه وسلم:" أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها وأرسلني الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه". وقال صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار". خرجه مسلم، وقد تقدم. (فيضل الله من يشاء ويهدي من **يشاء)** **رد على القدرية** في نفوذ المشيئة، وهو مستأنف، وليس بمعطوف عى

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٣٢٥

(١). راجع ج ٤ ص ١٥٤.

(٢). راجع ج ١٤ ص ٣٠٠.." (١)

"أي كفرت بإشراككم إياي مع الله تعالى في الطاعة، ف" لما" بمعنى المصدر. وقال ابن جريج «١»: إني كفرت اليوم بما كنتم تدعونه في الدنيا من الشرك بالله تعالى. قتادة: إني عصيت الله. الثوري: كفرت بطاعتكم إياي في الدنيا. (إن الظالمين لهم عذاب أليم). وفي هذه **الآيات رد على القدرية** والمعتزلة والإمامية ومن كان على طريقهم، انظر إلى قول المتبوعين:" لو هدانا الله لهديناكم" وقول إبليس:" إن الله وعدكم وعد الحق" كيف اعترفوا بالحق في صفات الله تعالى وهم في دركات النار، كما قال في موضع آخر:" كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها" [الملك: ٨] إلى قوله:" فاعترفوا بذنبهم" «٢» [الملك: ١١] واعترافهم في دركات لظى بالحق ليس بنافع، وإنما ينفع الاعتراف صاحبه في الدنيا، قال الله عز وجل:" وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم" «٣» [التوبة: ١٠٢] و" عسى" من الله واجبة «٤».

[سورة إبراهيم (١٤): آية ٢٣]

وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام (٢٣)

قوله تعالى: (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) أي في جنات لأن دخلت لا يتعدى، كما لا يتعدى نقيضه وهو خرجت، ولا يقاس عليه، قاله المهدوي. ولما أخبر تعالى بحال أهل النار أخبر بحال أهل الجنة أيضا. وقراءة الجماعة" أدخل" على أنه فعل مبني للمفعول. وقرأ الحسن" وأدخل" على الاستقبال والاستئناف. (بإذن ربهم) أي بأمره. وقيل: بمشيئته وتيسيره. وقال:" بإذن ربهم" ولم يقل: بإذني تعظيما وتفخيما. (تحيتهم فيها سلام) تقدم في" يونس" «٥» والحمد لله.

[سورة إبراهيم (١٤): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (٢٤) تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٥)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٣٤٠

---

(١). كذا في ع، وفى اوج وو: ابن بجر.

(٢). راجع ج ١٨ ص ٢١٢.

(٣). راجع ج ٨ ص ٢٤١ وص ٣١٣.

(٤). أي ما دلت عليه محقق الحصول من الله.

(٥). راجع ج ٨ ص ٢٤١ وص ٣١٣.." [1]

"فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار.

يفعل به إلى يوم القيامة، وأما الذين رأيتهم في الثقب.

فهم الزناة، والذي رأيته في النهار آكل الربا.

والشيخ في أصل الشجرة: إبراهيم.

والصبيان حوله: فأولاد الناس.

والذي يوقد النار: مالك خازن النار، والدار الأولى: دار عامة المؤمنين.

وأما هذه الدار: فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي، فإذا فوقي مثل السحاب قالا: ذلك منزلك، فقلت: دعاني أدخل منزلي.

قال: إنه بقي لك عمر، لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك» .

فصل: قال علماؤنا رحمة الله عليه: لا أبين في أحوال المعذبين في قبورهم من حديث البخاري، وإن كان مناما فمنامات الأنبياء عليهم السلام وحي بديل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ فأجابه ابنه: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ وأما حديث الطحاوي فنص أيضا، **وفيه رد على الخوارج** ومن يكفر بالذنوب.

قال الطحاوي: وفيه يدل على ان تارك الصلاة ليس بكافر، لأن من صلى صلاة بغير طهور: فلم يصل، وقد أجبت دعوته.

ولو كان." [2]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٣٥٨

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة؟ شمس الدين القرطبي ص/٣٩٨

"في الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقد تقدم هذا في غير موضع، وفي **هذا رد على من** قال إنما يدعون بأسماء أمهاتهم لأن في ذلك سترا على آبائهم، وهذا الحديث خلاف قولهم.

خرجه البخاري ومسلم وحسبك.

فصل: وقوله «فيكوي بها جنبه» الحديث إنما خص الجنب والجبهة والظهر بالكي لشهرته في الوجه وشناعته، وفي الجنب والظهر لأنه آلم وأوجع، وقيل خص الوجه لتقطيبه في وجه السائل أولا والجنب لأزوراره عن السائل ثانيا والظهر لانصرافه إذا راد في السؤال وأكثر منه، فرتب الله تعالى هذه العقوبات في هذه الأعضاء لأجل ذلك والله أعلم.

وقالت الصوفية: لما طلبوا الجاه والمال شان الله وجوههم، ولما طووا كشحا عن الفقير إذ جالسهم كويت جنوبهم ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتمادا عليها كويت ظورههم.

فصل: وقوله ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قيل: معناه لو حاسب فيها غير الله تعالى وإنما هو سبحانه وتعالى يفرغ منه في مقدار نصف نهار من أيام الدنيا.

وقيل: قدر مواقفهم للحساب عن الحسن وقال ابن اليمان كل موقف منها ألف سنة.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة»." (١)

"فقال لعلي تحول على فراشي ففعل ثم خرج عليهم ودر التراب على رؤوسهم فلم يروه حتى دخلوا البيت فوجدوا عليا على فراشه فقالوا له أين صاحبك فقال لهم قد خرج عليكم وقد جعل التراب على رؤوسكم فمد كل واحد منهم يده على رأسه فوجد التراب على رأسه

وقد قيل أن في هذه القصة نزل قوله تعالى ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾

ومن ذلك ما اتفق لأبي جهل وذلك أنه أخذ ابل رجل من العرب وتعدى عليه فيها فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنزل أبي جهل وصاح به فخرج منتقعا لونه فقال له رسول الله صلى الله عليه **وسلم رد على هذا** إبله فقال نعم ثم دخل مرة أخرى خائفا فصاح به فخرج فزعا متغيرا ذليلا ففعل ذلك ثلاثا ثم خرج فزعا ممتقعا لونه فانصرف الأعرابي وألان القول للنبي صلى الله عليه وسلم فلامته قريش على ذلك فقال لهم إنه عرض لي دونه فحل من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة؟ شمس الدين القرطبي ص/٦٩٩

أنيابه لفحل قط وأنه هم بي ليأكني فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك جبريل ولو دنا منه لأخذه

وكذلك أخذ أبو جهل صخرة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وقريش ينظرون فلزقت بيده وييست يداه إلى عنقه فرجع القهقري ورآه ثم سأل أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكذلك تواعد مرة أخرى مع قريش لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة أعلموه فأقبل نحوه فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل عن ذلك فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قد ملأت الأرض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنى لاختطفته عضوا عضوا فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ إلى أخر السورة." (١)

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام؟ شمس الدين القرطبي ص/٣٧٧